فِكْرَةُ الأُلُوهِيَّةِ لَدَى القِدِّيسَيْنِ بُونَا فنتُورَا وَتُومَا الأَكْوِينِي عَرْضٌ وَنَقْدٌ

د/محمد بيومي البربري

مدرس العقيدة والفلسفة

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بدسوق

جامعة الأزهر

ملخص البحث

(فِكْرَةُ الأُلُوهِيَّةِ لَدَى القِدِّيسَيْنِ بُونَا فنتُورَا وَتُومَا الأَكْوِينِي–عَرْضٌ وَنَقْدٌ)

د/ محمد محمد بيومي البربري

قسم العقيدة والفلسفة ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين– بدسوق– جامعة الأزهر–مصر.

البريد الإلكتروني: dr. mohamedelbarbry2021@gmail. com

ملخص البحث: يهدف هذا البحث إلى دراسة (فِكْرَةُ الأُلُوهِيَّةِ لَدَى القِدِّيسَيْنِ بُونَا فنتُورَا وَتُومَا الأَكْوِينِي) اللذين هما من رواد الفكر الغربي، وحاولت الدراسة الكشف عن مفهوم فكرة الألوهية لديهما ، ومن ثم فهذه الفكرة تختلف ماهيتها وحقيقتها عندهما عن بقية فلاسفة العصر الوسيط، و قد بينت الدراسة أن فكرة وجود الإله عند (بونا فنتورا) أنه موجود لدى كل إنسان عن طريق الفطرة، وقد بينت الدراسة أيضا أن ما يميز فلسفة القديس (بونا فنتورا) عن غيره من الفلاسفة هو ميله إلى التجربة الصوفية التي تمزج الفلسفة بالدين. ،وقد كشفت الدراسة أن الإله عنده مباين لسائر المخلوقات من جهة أنه معقول خالص، ومن شأن هذا الكائن المعقول الخالي من كل عنصر مادي ... أن لا تتمايز فيه الجهات ،وقد كشفت الدراسة عن راي (القديس توما الأكويني) في الإله فقد استدل بعدة أدلة على وجوده مبينًا أن وجوده ليس واضحًا بنفسه . ومن ثم فهو يحتاج إلى دليل ، كما تمتازفلسفته بالنزعة التوفيقية بين الآراء الفلسفية المختلفة، وفي سبيل ذلك اعتمدت على المنهج النقدي ، وقد جاءت الدراسة النقدية في الرد على ذلك وتفنيده، وبيان وجه الصواب في المسألة، وفحص تلك الأدلة وقبول ما كان فيها صحيحًا، ودحض ما عدا ذلك من الأدلة التي لا تمت للدين الإسلامي لا من قريب ولا من بعيد، وقد تمخضت الدراسة عن عدة نتائج تتمحور جميعها حول

شخصية كل من الفيلسوفين ومعتقد كل منهما ، حيث كانا يعتنقان مذهب المسيحية الخالصة التي مفادها الإيمان بالأقانيم الثلاثة: (الله الآب . الله الإبن . الله الروح القدس)، ومن ثَمّ فإن مفهوم الذات عندهما يختلف تماما عن بقية فلاسفة الغرب،وقد توصلت النتائج إلى **أن فكرة الألوهية تختلف تماما عند الفيلسوفين عن بقية الفلاسفة ، إذ المعتقد الصحيح لهذه الفكرة هو: أنّ الله** واحد في الألوهية، متصف بالحياة، واجب الوجود لذاته موجد لغيره؛ إذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره، منزه عن التحيز والحلول، مبرأ عن التغير والفتور، لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع .

الكلمات المفتاحية: (الألوهية – القديس بونا فنتورا – القديس توما الأكويني . وجودالإله . الثالوث).

that and refuting it, and clarifying the correctness of the issue, and examining that evidence and accepting what was correct in it, and refuting the rest of the evidence that has no connection to the Islamic religion, neither closely nor remotely. The study resulted in several results, all of which revolve around the personality of each of the two philosophers and the belief of each of them, as they embraced the doctrine of pure Christianity, which means belief in the three hypostases: (God the Father - God the Son - God the Holy Spirit), and therefore the concept of the self for them is completely different from the rest of the philosophers of the West. The results showed that the idea of divinity is completely different for the philosophers than for the rest of the philosophers, as the correct belief in this idea is: that God is one in divinity, characterized by life, necessary existence for itself and creator of others; as the Self-Sustaining is the One who is self-sustaining and establishes others, free from bias and incarnation, free from change and apathy, not suitable for ghosts and not affected by what affects spirits, owner of the kingdom and the kingdom, and creator of the origins and branches.
Keywords: **(**Divinity - Saint Bonaventura - Saint Thomas Aquinas - the existence of God - the Trinity**).**

The Summary in English

Research Summary: (The Idea of Divinity in Saints Bonaventura and Thomas Aquinas - Presentation and Criticism)

Dr. Mohamed Mohamed Bayome Al-Barbary
Department of Doctrine and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys - Desouk - Al-Azhar University – Egypt.
Email: dr. mohamedelbarbry2021@gmail. Com

Abstract of the research: This research aims to study (the idea of divinity among the two saints Bonaventura and Thomas Aquinas), who are pioneers of Western thought. The study attempted to reveal the concept of the idea of divinity among them, and thus this idea differs in its nature and reality from the rest of the philosophers of the Middle Ages. The study showed that the idea of the existence of God according to (Bonaventura) is that it exists in every human being through instinct. The study also showed that what distinguishes the philosophy of Saint (Bonaventura) from other philosophers is his tendency towards the mystical experience that mixes philosophy with religion. The study revealed that God is different from all other creatures in that He is purely rational, and this rational being, free of any material element, is such that there is no distinction in it. The study revealed the opinion of (Saint Thomas Aquinas) about God, as he provided several proofs for His existence, indicating that His existence is not clear in itself - and therefore it needs proof. His philosophy is also characterized by the tendency to reconcile different philosophical opinions, and for this purpose it relied on the critical approach. The critical study came in response to

المقدمة:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله، اللهم صلِّ على سيدنا محمد في الأولين وفي الآخرين وفي الملإ الأعلى إلى يوم الدين.

ثم أما بعد،،،

فإن الفكر الفلسفي الأوربي في العصر الوسيط يمتاز بأنه وسط بين عصرين أحدهما: العصر القديم، والآخر العصر الحديث، كما لا يمكن الفصل بينهما بأي حال من الأحوال وذلك؛ لأن عملية التأثير والتأثر قائمة بينهما في تأثر العصر الوسيط بالعصر القديم وتأثيره في العصر الحديث، وإذا كان بين العصور الثلاثة تأثير وتأثر، فإنه من المعلوم أن هناك جانبين في عمليتي التأثير والتأثر وهما:

الجانب الإيجابي، والجانب الآخر هو: **الجانب السلبي،** فما كان سلبيًّا في الفكر الفلسفي القديم، فمن المتحتم على فلاسفة العصور الوسطى أن يتركوه، وأن يقوموا بعملية التعديل فيه على قدر استطاعتهم، وما كان إيجابيًّا في الفكر الفلسفي –أي– نافعًا في ثقافات الفكر الإنساني، فإن أصحاب هذه المدارس يأخذون به ولا يمكن الاستغناء عنه بأي حال من الأحوال.

وهناك عدة مدارس نشأت في العصر الوسيط من بينها (المدرسة العليا) التي نشأت في القرن الثالث عشر، ومن أبرز الشخصيات التي ظهرت فيها القديسين (بونا فنتورا) وهو إيطالي من طائفة الفريسيسكان، وكذا (القديس توما الأكويني)، كما يأتي الحديث عنهما في ثنايا البحث، وعليه فقد تناولا كلاهما فكرة الألوهية، تلك الفكرة التي شغلت عقول المفكرين قديمًا وحديثًا، فقد تناولها القدماء –أي– في العصور القديمة، وتناولها رجال المدرسة الأوربية في العصور الوسطى، وتناولها أيضًا فلاسفة العصر الحديث، وغيرهم.

وفلاسفة العصور الوسطى تناولوها واحدًا تلو الآخر، وعلى رأسهم القديسان (بونا فنتورا)، و(توما الأكويني)، ومن هنا فقد استدل كل منهما على وجود الإله بعدة أدلة سوف نكشف النقاب عنها من خلال هذا البحث، إذ من الملاحظ أن هناك فرق بين القديسين في عرضهما لأدلة وجود الإله، و يتضح

ذلك حينما عرضها القديس (بونا فنتورا) فنجد أنه يميل إلى النزعة الأفلاطونية الحديثة[1]، وأيضًا فحوى أدلته قائمة على الإشراق الصوفي وبعيدة كل البعد عن البرهان العقلي، كما أن براهين وجود الإله عند (توما الأكويني) براهين عقلية منطقية، وذلك بعرضها تفصيليًّا؛ ويعلل ذلك بقوله: لأن وجود الله ليس واضحًا بذاته، كما سنبينه من خلال هذا البحث.

🕮 أهمية الموضوع:

يُعد الكشف عن فكرة الألوهية أمرًا مهمًا في بيان الأدلة التي استدل بها كل من القديسين (بونا فنتورا، وتوما الأكويني) وفحص تلك الأدلة وقبول ما كان فيها مجانبًا للصواب، ودحض ما عدا ذلك من الأدلة التي لا تمت للدين الإسلامي لا من قريب ولا من بعيد، وكان دافعًا لاختيار هذا الموضوع الذي جعلته بعنوان: **((فِكْرَةُ الأُلُوهِيَّةِ لَدَى القِدِّيسَيْنِ بُونَا فنتُورَا وَتُومَا الأَكْوِينِي- عَرْضٌ وَنَقْدٌ .)**.

🕮 أسباب اختيار الموضوع:

١- معرفة اتجاه أصحاب المدرسة العليا من المدارس التي ظهرت في العصر الحديث خاصة المدرسة الأوغسطينية التي ظهر فيها القديسين (بونا فنتورا وتوما الأكويني).

٢- قضية الألوهية من القضايا التي شغلت عقول المفكرين والفلاسفة قديمًا وحديثًا ما بين مؤيد ومعارض.

٣- الدفاع عن العقائد الإيمانية ضد التيارات المنحرفة مثل الماركسية والوجودية وغيرهما من أصحاب المذاهب الفلسفية المعاصرة خاصة الذين

---

(١) كانت الأفلاطونية المحدثة من أكثر المذاهب الفلسفية الأجنبية تأثيرًا في الفكر الإسلامي وانتشرت الكتابات المعروفة باسم المجموعة الهرمسية في العالم الإسلامي، وكان تأثيرها واضحًا في (سلامان، وأبان لابن سينا، وحي بن يقظان لابن طفيل، والغربة الغريبة للسهروردي " يراجع: : الموسوعة الفلسفية، د / عبد المنعم الحفني، صـ٥٧، دار ابن زيدون، مكتبة مدبولي ـ القاهرة.

ينكرون وجود الله تعالى.

٤- العقيدة التي كان ينتمي إليها كل من (بونا فنتورا، وتوما الأكويني)؛ حيث إنهما تابعان لعقيدة اللاهوت المسيحي، مما كان له الأثر في اتجاه أصحابها إلى القول بالأقانيم الثلاثة.

📖 **المنهج المستخدم في البحث:**

اعتمد الباحث في بحثه على المنهج النقدي، وقد استدعت الدراسة تقسيمه إلى:

مقدمة: اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج المتبع وتمهيد اشتمل على: التعريف بشخصية الفيلسوفين (بونا فنتورا، وتوما الأكويني)، من حيث حياتهما، وكذلك مؤلفاتهما)) بإيجاز.

وأربعة مباحث جاءت على النحو التالي:

المبحث الأول: فكرة الألوهية لدى القديس بونا فنتورا.

المبحث الثاني: نقد فكرة الألوهية عند القديس بونا فنتورا.

المبحث الثالث: الألوهية في فلسفة القديس توما الأكويني.

المبحث الرابع: نقض الطبيعة الإلهية عند القديس توما الأكويني

وخاتمة: اشتملت على أهم نتائج البحث وأعقبها ثبت المصادر والمراجع، والله أسأل أن يسدد الخطا ويوفق لما هو خير ويرضى .

(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ)[1]

---

(١) سورة هود من الآية: ٨٨.

التمهيد ويشمل التعريف بالقديسين (بونا فنتورا، وتوما الأكويني) بإيجاز.

أولًا: التعريف بالقديس بونا فنتورا *buna fintura* (١٢٢١ - ١٢٧٤م)

❖ **أولًا: حـــــيـــاتـــــه:**

مما لا يدع مجالًا للشك أن الفيلسوف (بونا فنتورا) *buna fintura* من أعلام المدرسة الأوغسطينية *Augustinianism* التي سميت باسم القديس أوغسطين (٣٥٤–٤٣٠)[١]، ومن أعلامها . أيضًا . الفيلسوف (بونا فنتورا)، وعند الحديث عن حياته، نجد صاحب المعجم الفلسفي (جورج طرابيشي) ، قد أسهب في الحديث عن هذا الفيلسوف، ومن ثم فهو "لاهوتي إيطالي ناطق باللاتينية. ولد في بانيوريا بالقرب من فيتربو في ١٥ تمور ١٢٧٤م ، أو ١٢٢٢ م، وتوفي في ليون في ١٥ تموز ١٢٧٤م، تحدر من ـ أسرة نبيلة ـ... وفي عام ١٢٤٠م انتسب إلى رهبانية الآباء الفرنسيكانيين"[٢]، ومن هنا فقد عاش الرجل في أسرة نبيلة تربى فيها على العلم والمعرفة، فكانت له مصنفات عديدة استفاد منها القاصي والداني، وعلى كل حال فقد سار الرجل في بداية أمره على نهج مدرسته التي ينتمي إليها، وهي المدرسة العليا التي نشأت في

---

(١) ولد في طاجسطا من أعمال نوميديا (الآن سوق الأخرس من أعمال الجزائر) من أب وثني وأم مسيحية سجلت اسمه في عداد المرشحين للعماد، ونشأته على محبة المسيح، وتضلع من اللاتينية حتى افتتح في قرطاجنة، وهو في التاسعة عشرة، مدرسة لتعليم البيان، في ذلك الوقت قرأ كتابًا لشيشرون اسمه «هورطانسيوس» (وقد ضاع فيما بعد) كان كاتبه يقرظ فيه الفلسفة ببلاغته المعهودة، فيصورها مدرسة علم وفضيلة، ووسيلة الحياة السعيدة، فاندفع في طلب الحقيقة، حقيقة مصير الإنسان، فقرأ الكتاب المقدس، رجاء أن يجدها فيه، كما تعلم من أمه، ولكن الكتاب لم يجد إلى نفسه سبيلًا: " تاريخ الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى، د / يوسف كرم، صـ ٢٥، مؤسسة هنداوي، سنة النشر ٢٠١٤م..

(٢) معجم الفلاسفة، إعداد / جورج طرابيشي، صـ ٢١٢،دار الطباعة ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.

القرن الثالث عشر.

❖ **ثانيًا: مصنفاته:**

هناك مصنفات لهذا الفيلسوف قد ذكرها يوسف كرم تتلخص في الآتي: أهمها:

١- شرح على «أحكام» بطرس اللومبارذي هو تدوين درسه بالجامعة.

٢- رسالة في «سبيل النفس إلى الله».

٣- وأخرى في «إرجاع الفنون إلى اللاهوت» أي إخضاعها له كآلات أو وسائل(١). وغيرها من المصنفات، قد ذكرها الدكتور/ عبد الرحمن بدوي في كتابه فلسفة العصور الوسطى وهي:

١. شرح النص.

٢. تقسيم النص: عرض المسائل التي يحتويها النص.

٣. إظهار الصعوبات التي في ظاهر النص.

٤ . الإدلاء بالحجج المعارضة للنص.

٥. الإدلاء بالحجج المؤيدة للنص.

٦ . حل مواضع الخلاف والإدلاء بالرأي الأخير. (٢)

وإذا كان لهذا الفيلسوف مؤلفات عظيمة، فإن الفضل يرجع إلى الفيلسوف (أوغسطين)، كما أن (بونا فنتورا) يفضل (أفلاطون)على (أرسطو) (٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق.م)، وخاصة في مجال المعرفة؛ وذلك لأن الأول حكيم والآخر أعني ـ أرسطو ـ عالم ـ كما نلحظ أن الحكمة عند (بونا فنتورا) صوفية بحتة، وإلى هذه الإشارة يقول صاحب كتاب تاريخ الفلسفة الأوربية مبينًا أن الفيلسوف " أوغسطين

---

(١) تاريخ الفلسفة الأوربية ـ يوسف كرم، صـ١٢١، مرجع سابق

(٢)فلسفة العصور الوسطى، دكتور: عبد الرحمن بدوي، صـ ٩٥، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م.

مرجعه الأكبر، ويجمع إليه (ديونيسيوس) *dywnisiws*[١] (وأنسلم) (*'anslim*)[٢].

وتبعًا لهذا الاتجاه يُفَضَّلُ أفلاطون على أرسطو: أفلاطون «حكيم» وأرسطو «عالم»، **وفي الأفلاطونية العلم هو:** المعرفة الاستدلالية للطبيعيات المدركة للأشياء الروحية الدائمة، والحكمة المثلى عنده لاهوتية صوفية: فمهمة الفلسفة معاونة اللاهوت والتكمل به، ومهمة اللاهوت التوجه إلى التصوف والانتهاء إلى الجذب"[٣].

ونجد في هذه الإشارة السابقة أن (بونا فنتورا) يميل إلى اللاهوتية الصوفية التي يترتب عليها الجذب، وهذا ظاهر في مذهبه الذي ينتمي إليه، حيث يمتاز مذهبه بالنزعة الصوفية التي تمزج الفلسفة بالدين، ويمتاز أيضًا بنزعته التوفيقية بين الآراء الفلسفية المختلفة "[٤].

---

(١) دينسيوس الأريوباجي *dinsius al'aryubaji* شخصية غامضة، لا تزال تجهل بهويتها الحقيقة، وكل ما نعلمه عن صاحبه أنه كتب ٤٨٢، ٥٣٠ ب. م بموهبة أصيلة وقوية، مباحث ورسائل سيجعلها العصر الوسيط تبجيلًا يكاد يعادل تبجيله للكتاب المقدس... يؤكد ديسنيوس أنه حضر أنه حضر موت العذراء وتكلم مع الرسولين بطرس ويعقوب...، وقد شهد أيضًا كسوف الشمس أثناء صلب يسوع المسيح، وسلطة البابوات أمثال غريغوريوس الأكبر والقديس مارتنيوس الأول "ينظر : معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، صـ ٣١٠.

(٢) انسلم الكانتيربري (*Anselm* of *Canterbury*) فيلسوف لاهوتي وقديس ولد في أوستا سنة١٠٣٢م، أو ١٠٣٤م، وتوفي سنة ١١٠٩م،... من أسرة مشهورة تمت بصلة قربى إلى الكونتيسة ماتيلدا التوسكانية، واشتهر بدليله الأنطولوجي على وجود الله واسمه من أكبر الأسماء في القرن الحادي عشر عين رئيسًا لأساقفة كنتربري عام ١٠٩٣م". ينظر: المصدر السابق، صـ ١٠٢.

(٣) تاريخ الفلسفة الأوربية ـ يوسف كرم، صـ١٢١، مرجع سابق.

(٤) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، صـ ١٨، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

ثانيًا: التعريف بالقديس توما الأكويني (١٢٢٥ . ١٢٧٤) *tuma al'akwiniu*

❖ **أولًا: حـــــيـــاتـــــه:**

مما جاء في معجم الفلاسفة لجورج طرابيشي أن القديس توما الأكويني من " أصل إيطالي، كتب باللاتينية. ولد بين نهاية عام ١٢٢٤م وبداية ١٢٢٥م، في قصر روكازيكا على مقربة من آكوينو (إيطاليا الجنوبية) ومات في فوسانوفا، على مقربة من تراشينا، لقب بـ " المعلم الجامع للكنيسة، وكذلك بـ " المعلم الملائكي ،" والأحداث التي تتألف منها سيرة حياته لا تعدو أن تكون بعض تنقلات في مسار حياة دينية دومينيكانية شغلها بتمامها التدريس الجامعي للاهوت. نذره والداه (لاندولفو الأكويني وثيودورا) اللومباردية الأصل للخدمة في (دير مونتي) ـ كاسينو (١٢٣٠م) ثم درس في مدارس (نابولي) عام ١٢٣٩م"(١).

ونلحظ أن القديس توما الأكويني ينتمي لأسرة عريقة ،حيث إنه ينسب "لأسرة (لومباردية) من قرابة (فرديك الثاني)، وكانت مبرزة في خدمته ... توفي القديس (توما الأكويني) في (فوسانوفا) غير بعيد من مسقط رأسه وهو في طريقه إلى المجمع الثاني الذي عقد في ليون ١٢٧٤م "(٢).

❖ **ثانيًا: مـــصـــنـــفـــاتـــه:**

مما لا مجال فيه للشك أن حياة (القديس توما الأكويني) كانت مليئة بالعلم والاطلاع، لا سيما كثرة اطلاعه وقراءته، ومن الجدير بالذكر أنه " كان مكلفًا

---

(١) معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، صـ ٢٤١.

(٢) الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، و.ح أو أمون، ترجمة فؤاد كامل ـ جلال العشري، صـ ٦٣، مراجعة: زكي نجيب، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٣م، نشر: المركز القومي للترجمة.

بالقراءة مع تلاميذه (التوراة)، وكتاب (الأحكام) (لبطرس اللومباردي)، و(الوجيز المقرر في اللاهوت)في ذلك العصر، عن طريق (اللومباردي) تلقى القرن الثالث عشر بأسره تعليم (القديس أوغوسطينوس)، وكان يساعده في هذه المهمة وكلاء وفقهاء في التوراة والأحكام "[1]، ومن هنا فقد بلغت مؤلفات توما الأكويني أربعة مراحل ، الأمر الذي ترتب عليه أن زاع صيته في البلاد الأروبية وكذا الجامعات وغيرها.

(١)معجم الفلاسفة، جورج طرابيشيى، صـ ٢٤٢.، الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، ج. أرمسون، صـ٦٣.

المبحث الأول
فكرة الألوهية لدى القديس بونا فنتورا.

مـدخـــل:

مما لا مجال فيه للشك أنَّ فلاسفة العصور الوسطى قد تناولوا فكرة الألوهية في فلسفتهم، ومن بينهم القديس (بونافنتورا) الذي كان يسير في بداية أمره على الطريقة المدرسية الخالصة، ومما يميز فلسفته على غيره أنه كان يميل إلى ما يسمى بالتجربة الصوفية، تلك الحالة الصوفية التي تعد مطلبًا صوفيًا يسعى إليه السادة الصوفية حتى يصلوا إلى درجة اليقين .

الإله في التصور اللاهوتي المسيحي:

بداية لا نستطيع أن نصف الإله في تصورهم إلا من خلال الكتاب المقدس[١] الذي يقول " إن الله كائن ذو وجود شخصي، وهو عاقل ومحب، وعادل، وأمين، وأبدي وخالق، وأنه في تفاعل حيوي مع خليقته "[٢] فالإله عندهم شخص له من الصفات كصفات بعض البشر من العدل والأمانة والحب، وغير ذلك من صفات البشر، وزيادة على ذلك فهو خالق وأَبَدَيّ وبينه وبين البشر التفاعل المستمر، وهذا الوصف الذي وصفوا به الإله نابع من الوثنية الحديثة التي تقول بإله الخير الذي يحمل في طياته النور والعدل، وغير ذلك، وهذا ما سار عليه فلاسفة العصور الوسطى وعلى رأسهم القديس (بونا فنتورا).

الإله في فلسفة بونا فنتورا:

يرى (بونا فنتورا) "أن الله مباين لسائر المخلوقات من جهة أنه معقول

---

(١) وعن الكتاب المقدس يقول الأنبا غريغوريوس "هذا الكتاب الإلهي يحرص على شرح العقائد الإيمانية بعناية فائقة، كما يحرص على بيان أهمية التقوى والفضائل المسيحية، فكيف نؤمن بكتاب الله إذا كنا نقتطع منه ما يعنينا ونهمل ما لا يعنينا؟ ". يراجع: موسوعة الأنبا غريغوريوس، اللاهوت العقيدي، (١/ ٤٧) لاهوت السيد المسيح، شركة الطباعة المصرية، نشر: مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.

(٢) حقيقة لاهوت يسوع المسيح، جوش ماكدويل، وبارت لارسون، صـ١٤، ط: ٢، نشر هيئة الخدمة الروحية وتدريب القادة، الإسكندرية.

خالص، ومن شأن هذا الكائن المعقول الخالي من كل عنصر مادي أو على حد تعبيره الله الذي هو (روح خالصة وحقيقة عليا) أن لا تتمايز فيه الجهات"[١]، وبناء على تصوره للذات الإلهية فإنها عنده: أنه " يعلم ذاته وبعلمه ذاته تحدث الصورة ـ أي ـ الابن أو الكلمة، والمقصود بها هنا " ما يعبر به الله عن ذاته، ولهذا فإنه من ثم يكون قد عبر عن ذاته بولادة الابن أو حدوث الابن"[٢].

ومن هنا فإن القديس بونا فنتورا يرى أن الذات أو الكلمة مباينة لسائر الذوات، حيث إنها روح خالصة، وأيضًا ليست في جهة، ومن ناحية أخرى يفرق بين ما هو اللامتناهي، من الناحية المحسوسة، وبين اللامتناهي من الناحية المعنوية أو الروحية، فيقول " فمن حيث الامتداد لا يمكن الإحاطة باللامتناهي أو إدراكه، أما اللامتناهي من حيث الروح فهو بسيط كل البساطة وهو لهذا موجود في كل جزء، ولا يمكن أن يقال إنه موجود في عدا الجزء، فإنه بسيط ولا يقبل التجزئة"(٣).

براهين وجود الإله عند القديس بونا فنتورا:

لقد عرض القديس بونا فنتورا أدلة وجود الله؛ وذلك لأن وجوده تعالى واضح عنده، فيجب تصوره أولًا ، وكما هو معروف عند المناطقة : أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فإذا أراد الإنسان أن يحكم على شيء ـ ما ـ ، فلابد من تصويره تصويرًا صحيحًا من جميع الوجوه حتى يكون الحكم عليه صحيحًا .

يقول القديس (بونا فنتورا): "إن وجود الله واضح بنفسه، ولكن هناك مع ذلك عدة مسائل يجب أن تدرس قبل أن تظهر هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح...، فإذا تصور الإنسان الله تصورًا فاسدًا، أدى ذلك إلى عدم إدراكه لحقيقة الله، والذي وقعوا في ذلك هم الوثنيون الذين تصورا الله باعتباره كائنًا ساميًا ينبئ عن المستقبل، فلما وجدوا أوثانًا تنبئهم عن المستقبل آمنوا بها، وهناك من نظروا إلى النفس في العالم، فقالوا بعدم وجود علة مدبرة، وهناك

---

(١) القديس بونا فنتورا، بين الفلسفة وعلم اللاهوت، صـ٧٦.

(٢) ن ـ م ، صـ٧٨.

(٣) فلسفة العصور الوسطى، عبد الرحمن بدوي، صـ١٠٤.

من اقتصروا على العالم الحي فقصروا عن إدراك الله "[1]، وعليه فالتصور إن كان صحيحًا أدى به هذا التصور إلى معرفة الشيء معرفة حقيقية لا يعتريها نقص، وإذا كان التصور غير واضح الرؤية والمعالم، فيترتب عليه الوقوع في الخطأ.

✍ الأسباب التي أدت إلى جحد الوجود الإلهي:

هناك عدة أسباب أدت إلى جحد الوجود الإلهي عند القديس بونا فنتورا، وهي:

١- إنه ينبغي معرفة أننا لا نحيط علمًا بالله، ولكننا ندركه فحسب، فلا يوجد موجود يحيط علمًا بالله - إلا الله نفسه، أما نحن فمن الواجب أن نقتصر على إدراكه فحسب، كي لا نُحَمِّلَ أنفسنا ما لا طاقة لنا به.

٢- وعلى ضوء العلم الناقص البشري لا ينبغي لنا أن نستنتج من بعض الأحداث التي تصيب العالم بالأضرار، أو نستنتج من بعض الكائنات المشوهة في خلقتها عدم وجود مدبر لهذا العالم.

٣- كذلك لا ينبغي لنا أن نثق في العقل ثقة مطلقة وبغير مبرر، فنقول أن ما يقول به الحس والعقل هو كل شيء وأن ما ينكره الحس والعقل هو كل شيء، وأن ما ينكره الحس والعقل لا وجود له.

٤- الذي يحذرنا منه القديس بونا فنتورا وهو عدم محاولة تشبيه الله، أو تمثيله بأي كائن من الكائنات المتطورة "[2].

ومن خلال هذه الأسباب سالفة الذكر، فإن القديس بونا فنتورا يؤكد على أن إدراك كنه الله من الأمور الممتنعة عقلًا، كما يحذر تحذيرًا شديدًا من عدم إستناد جميع الكائنات إلى موجدها سواء أكانت كاملة الخلقة أم غير كاملة؛ لأن هذا يُعد سببًا إلى جحد الوجود الإلهي. كما ينبغي أن لا نعطي للعقل ثقة

---

(١) ن ، م ، صـ١٠٣.

(٢) القديس بونا فنتورا، بين الفلسفة وعلم اللاهوت، صـ٧٣، كامل محمد محمد عويضة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

كاملة في الحكم على الأشياء، وأن لا نقع في التشبيه أو التجسيم[1]؛ لأن ذلك يُعد سببًا من أسباب جحود الوجود الإلهي.

وقد عرض القديس بونا فنتورا عدة براهين لوجود الله تعالى، وهي:

البرهان الأول: دليل الفطرة[2]:

يقوم هذا البرهان على أن فكرة الله موجود في النفس الإنسانية بالفطرة، فإن الإنسان بفطرته لا يمكن أن يدرك وجود هذا الكائن الذي لا يمكن أن يتصور أكبر منه"(١).

---

(١) ذكر صاحب كتاب الفرق بين الفرق قوله عنهم أن"المشبهة صنفان صنف شبهوا ذات البارى بذات غيره وصنف آخرون شبهوا صفاته بصفات غيره وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى والمشبهة الذين ضلوا فى تشبيه ذاته بغيره أصناف مختلفة وأول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة فمنهم السبابية الذين سموا عليا الها وشبهوه بذات الاله ولما احرق قوما منهم قالوا له الآن علمنا انك اله لان النار لا يعذب بها الا الله ومنهم البيانية اتباع بيان بن سمعان الذى زعم أن معبوده انسان من ثور على صورة الانسان فى اعضائه وانه يفنى كله الا وجهه ومنهم المغيرية اتباع المغيرة بن سعيد العجلى الذى زعم أن معبوده ذو أعضاء وأن اعضاءه على صور حروف الهجاء ومنهم المنصورية اتباع أبى منصور العجلي الذى شبه نفسه بربه وزعم أنه صعد الى السماء وزعم ايضا أن الله مسح يده على رأسه وقال له يا نبى بلغ عنى ومنهم الخطابية الذين قالوا بالاهية الائمة وبالاهية أبى الخطاب الاسدى ومنهم الذين قالوا بالاهية عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر ومنهم الحلولية الذين قالوا بحلول الله فى أشخاص الائمة وعبدوا الائمة لاجل ذلك " يراجع : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ،المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ) نشر دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧ ، ص٢١٤.

(٢) هذا الدليل قد تعرض له القرآن الكريم في أكثر من موضع منها: على سبيل المثال لا الحصر، قول الله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ). العنكبوت رقم الآية (٦١)، وقوله تعالى: (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) الآية رقم: (٢٥) من سورة لقمان، وغيرهما من الآيات.

فهذا البرهان كما يرى القديس بونا فنتورا موجود في الفطرة الإنسانية، إذ أن وجوده لا يحتاج إلى دليل ـ أي ـ نظر واستدلال؛ لكنه عارض من يقول بأنّ وجود الله يحتاج إلى دليل، وعلل ذلك بقوله؛ "لأن وجوده أوضح من أي وجود آخر يمكن أن يستند إليه لإثبات الوجود الإلهي، وكل هذا أمر جارَى فيه (بونا فنتورا) العقيدة المسيحية وآمن بما جاءت به، غير أنه ذهب إلى أن هناك بعض من يكفر بوجود الله، ومن هنا كانت براهينه أقرب إلى محاولة إزاحة هذا الكفر العارض من نفوس هؤلاء الناس، منها إلى إيجاد دليل لا يستند أساسًا إلى النقل"(٢)، وعليه فقد أقام بونا فنتوراهذه الأدلة من أجل إقناع بعض من يكفر بوجود هذا الإله .

نقض برهان الفطر عند(بونا فنتورا)

هناك عدة انتقادات موجهة لهذا الدليل، وهي:

١– هذا الدليل الذي ساقه هذا الفيلسوف يرتكز على الفطرة الإنسانية، وإنما أقامه هذا الفيلسوف دحضًا لمن يكفر بعقيدة المسيح، وعليه فلم تكن طريقة إثبات وجود الله بهذا الدليل مثل طريقة المتكلمين.

٢– **والفطرة تعرف بأنها:** "هي الجِبِلَّة المتهيئة لقبول الدين"(٣)، وذلك أن الدين هو التابع لتلك الفطرة، فهي تعد أساسا لولوج الإنسان في دينه، والمراد بالدين هنا الإسلام، ونلحظ في هذا الدليل أن (بونا فنتورا) لم يؤمن بإله خالق لهذا الكون كما يعتقده المسلمون (٤) فاعتقاد (بونا فنتورا) غير ذلك، وذلك لاعتقاده في الثالوث المسيحي الباطل.

---

(١) فلسفة العصور الوسطى، عبد الرحمن بدوي، صـ١٠٥.

(٢) القديس بونا فنتورا بين الفلسفة وعلم اللاهوت، صـ ٧٣، مرجع سابق

(٣)التعريفات الجرجاني، باب الفاء،صـ ١٦٨.

(٤) جاء في كتاب مفيد العلوم ومبيد الهموم ، للخورازمي أن الدليل على الصانع هو " دليل النطفة التي في الرحم والجنين في البطن يخلقه الله في ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة ثم ان كان كما زعم أفلاطون الزنديق ان في الرحم قالبا منطبعا ينطبع الجنين فيه فلزم الحمار أن يكون الولد إما مياثا أو مذكارا لأن الحقيقة لا

٣- يعتقد المسلمون بأن الإله واضح وظاهر وبَيّن وقد جاءت الرسل الكرام بهذا، وهذا الاعتراف منهم ما هو إلا أمر فطري في نفوسهم لا ينكره إلا مكابر، أو جاحد، وقد جاء في كتاب مدارج السالكين لابن القيم أن " وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما"(١)، ومن هنا فوجوده تعالى ظاهر وأوضح من ظهور الشمس في وسط الدجى، فقد يستدل على إثباته تعالى بالأثر على المؤثر أو العكس.

البرهان الثاني: وهو دليل العلة الفاعلة:

وقد صاغ هذا الدليل على الأفكار الفطرية التي بداخل النفس الإنسانية، حيث يقول (بونا فنتورا): "إن الوجود كله فناء، وإن الفناء جوهر مكون للوجود، – أي– أنّ الفناء من ماهية الوجود، وليس هذا الفناء مقتصرًا على شيء دون آخر، فنحن نجد كائنًا فانيًا باعتباره حادثًا، ويدل هذا على وجود محدث، ونجد كائنًا فانيًا باعتباره مركبًا، وهذا يؤذن بوجود البسيط؛ لأن التركيب معناه انتفاء البساطة، ونجد كائنًا فانيًا باعتباره متغيرًا، وهذا يفترض قطعًا وجود كائن ثابت؛ لأنه لا وجود للمتغير إلا باعتباره متعلقًا بشيء ثابت؛ لأن كل حركة لابد أن ترتكز على ثبات، فاليد المتحركة ترتكز على الكوع وبالجملة، فإن الحركة والتغير يقتضيان الثبات ضرورة، وهذه الأشياء جميعها تستلزم وجود كائن هو

تختلف فلما رأينا المرأة تلد ذكرا ومرة أنثى ومرة توأمين وطورا ثلاثة وتريد أن تلد فلا تلد وتريد أن لا تلد فتلد وتريد الذكر فتكون أنثى وتريد الأنثى فيكون الذكر على خلاف اختيار الأبوين فعرفنا قطعا أنه قدرة قادر عالم حكيم وان الفلاسفة ينادون من مكان بعيد لقد هلكوا وبالله كفروا ووقعوا في الهوى فتبا لمن يدعي الفهم وهو أعمى " مفيد العلوم ومبيد الهموم، المؤلف: ينسب لأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس (المتوفى: ٣٨٣هـ) نشر المكتبة العنصرية، بيروت ،عام النشر: ١٤١٨ هـ، ص٢٦.

(١) . مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) (١ / ٨٣) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي ،نشر دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .

علة فاعلة، وهو بسيط، وهو ثابت، وهذا هو الله"(١).

ومن هنا فإن (بونا فنتورا) يصف الوجود بالفناء باعتبار أنه جزء من الوجود، كما أن الفناء يكون للكائن الحادث، أو الكائن البسيط على حد سواء، باعتبار اشتراكهما في الماهية، وعليه فإن الوجود كله متحرك بحركة تلك الحركة ليست من نفسها إذ يستحيل أن يكون الشيء علة ومعلول في وقت واحد، فلابد من علة فاعلة لهذا الوجود، وهذا الدليل بدأ به بالمحسوس حتى يصل إلى المعقول، فهو يبدأ من المعلول حتى يصل إلى العلة التي ليس بعدها علل.

البرهان الثالث: وهو برهان ألانطولوجي *antuluji*(٢):

يقوم هذا البرهان على ضرورة المعرفة، وانتقال طبيعي من الماهية إلى الوجود، وهذا الدليل" هو الذي ابتدعه القديس (انسلم) وهو: أن تصور ماهية الله تقتضي وجوده، إذ أكمل كائن يمكن تصوره لابد أن يكون موجودًا، مادام الوجود كمالًا من كمالاته "(٣)، فمن المبادئ الأولى التي يسلم بها الإنسان (أن وجود الله أمر بدهي)، فحينما نقول (الله موجود) فإن نوع هذه العبارة من المبادئ الأولى؛ لأن فكرة الموجود الذي لا يمكن تصور موجودًا أكبر منه تستلزم قطعًا وجود هذا الكائن... وأيضًا المحمول فيها متضمن قطعًا في

---

(١) فلسفة العصور الوسطى، عبد الرحمن بدوي، صـ١٠٧.

(٢) ومعنى أنطولوجي يعني أن الشعور شعور بشيء (ما) وظاهر الشعور يقتضي الوجود، والوجود في كل مكان وهو وجود هذه المنضدة، وهذه العلبة من السجاير، وهذا المصباح، وبمعنى أعم وجود العالم هو ما يتضمن الشعور، وهذا هو البرهان الوجود لا تستخلصه من الكوجيتو التأمل، بل الوجود السابق على التأمل الذي يخص المدرك " يراجع: المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، د/ عبد المنعم الحفني، صـ١٥٥، نشر مكتبة مدبولي، ط: ٣، ٢٠٠٠م.

(٣) موسوعة الفلسفة، د / عبد الرحمن بدوي، صـ ٣٨٤، نشر الموسوعة العربية للدراسات والنشر، ط: ١، ١٩٨٤م.

الموضوع باعتبار أنه لا يمكن تصور الكائن الذي لا يمكن أن يتصور أكبر منه"[1].

تعقيب:

يبدو من خلال ما سبق ذكره آنفًا أن القديس (بونا فنتورا) كان يتمتع بملكات فكرية، حيث تبين من خلال عرضه لأدلة وجود الله تعالى، حيث إنه لا يحتاج إلى دليل؛ وذلك لأن وجوده ساطع ليس في حاجة إلى أدلة تثبت وجوده تعالى، ولكن إيمان هذا القديس بالكنيسة وما تقرره من قرارات تتضمن الإيمان بوجود الإله ساق (بونا فنتورا) هذه الأدلة إحقاقًا للحق.

ويمكننا أن نقول: إن القديس (بونا فنتورا) أثبت وجود الله بعدة براهين يتضمن البرهان الأول: إن فكرة وجود الله موجودة لدى كل إنسان عن طريق الفطرة، وهذه الفكرة في حد ذاتها تتفق مع الأصول والعقائد الإيمانية التي تقرر أن الفطرة لا تنفك عن الإنسان بأي حال من الأحوال، حتى لو غفل صاحبها فإنه في أشد الظروف والمواقف يلجأ إليه، وهذا ما حدث بالفعل للمعاندين، أو المنكرين لوجود الله، أما الدليل الثاني فإنه يتضمن (العلة والمعلول)، فإذا وجدت العلة وجد معها معلولها؛ إذ يستحيل وجود شيئ بدون علة، وقد سماها (بونا فنتورا) بالعلة الفاعلة التي يراد بها–أي– المُوجدة لهذا الكون، ومن ثم فالكائنات كلها تستند في وجودها إلى هذه العلة الفاعلية.

وفي الدليل الثالث عرض القديس (بونا فنتورا) أن هناك فرق بين القضية التحليلية، والقضية التركيبية، فالأولى لا يفيد المحمول فيها شيئًا للموضوع، أما القضية التركيبية، فمحمولها يفيد جديدًا لموضوعها، فهي مفيدة في العلوم، وهذا الدليل سماه (أنسلم) بالدليل الأنطولوجي، فوجود العالم يستلزم وجود موجود وذلك عن طريق التأمل، وعلى كل حال فإن أدلة وجود الله التي ساقها (بونا فنتورا) تُعد في حد ذاتها أنها موافقة لأدلة الفلاسفة الإلهيين في استدلالهم على وجود الله تعالى .

---

(١) فلسفة العصور الوسطى، عبد الرحمن بدوي، صـ ١٠٨.

المبحث الثاني
نقد فكرة الألوهية عند القديس (بونا فنتورا)

مـــدخـــل:

من المعلوم أن فلسفة القديسين (بونا فنتورا والأكويني) كان لهما الأثر الفعال في بناء الفكر الفلسفي الأوربي على وجه الخصوص، ومن ثم فقد ساق كل منهما عدة أدلة لتثبت وجود الإله ، تلك الأدلة إذا وضعناها في ميزان الإسلام نجد بينها وبين ما ساقه فلاسفة الإسلام من أدلة تثبت وجود الله تعالى فرق كبير، وبالتالي لابد من نقد هذه الأدلة لكي يتميز الصحيح من الباطل، ومن هنا فقد اشتمل هذا المبحث على قول (بونا فنتورا) في (الإله) ونقض الأدلة التي ساقها لإثبات وجود الإله .

❖ **أولًا: نقد تصور (بونا فنتورا) للذات الإلهية:**

١ – إن هـذا القـديس يـؤمن بالأقـانيم الثلاثـة (*The three hypostases*)[(١)]:

من المعلوم أن القديس بونا فنتورا (لاهوتي)(*lahuti*) المعتقد،ومن ثم فإن الذات عنده يقصد بها (الكلمة)، ويقصد بها كما يقول (بونا فنتورا)، وهي أولًا: الذات باعتبارها فعلًا، وهي ثانيًا ـ العلم، وهي ثالثًا ـ الإرادة، وهي رابعًا ـ القدرة، فعن طريق الكلمة إذن نستطيع أن نفهم الصفات الإلهية، ونستطيع أن

---

(١) جاء في كتاب محاضرات في النصرانية للشيخ أبو زهرة قوله في عقيدة التثليث " قال الدكتور بوست في تاريخ الكتاب المقدس: "طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الأب، والله الابن، والله الروح القدس، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير". ويفهم من هذا أن الأقانيم الثلاثة عناصر متلازمة لذات الخالق". يراجع: محاضرات في النصرانية (تبحث في الأدوار التي مرَّت عليها عقائد النصارى وفي كتبهم ومجامعهم المقدسة وفرقهم) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت/ ١٣٩٤هـ) صـ ١٠٠، نشر دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٣٨١هـ –١٩٦٦م.

نفهم العالم وتكوينه، فالكلمة التي هي الابن عند (بونا فنتورا) تعني العلم الإلهي"[١]، ومن هنا فعقيدة هذا القديس تدعو للتثليث الذي يعد مصدرًا من مصادر الديانة النصرانية.

٢- <u>خلطه بين الذات والصفات في كل المسائل:</u>

وعليه فقد اعتبر (بونا فنتورا) أن الذات هي الكلمة، ومع ذلك خلط بينها وبين الصفات، "فجعل الذات فعلا وعلمًا وقدرة، ولا يفهم معنى الصفات إلا عن طريق الذات"[٢].

٣- <u>قوله بالمماثلة بين الأب والابن في الجوهر والصفة:</u>

فلقد ذكر صاحب كتاب القديس (بونا فنتورا) بين الفلسفة واللاهوت أنه لابد من " تحقيق الكلمة التي هي الابن، وذلك بحدوث صورة الذات للذات عن طريق المشابهة الأولى أو المشابهة في أقصى درجاتها، فالابن ينشأ من تصور الله لنفسه، ولذلك فإن الابن مماثل للأب إلى أقصى درجات المماثلة"[٣].

٤- <u>قوله بالتشبيه والتجسيم والبساطة واللامتناهي:</u>

ومعنى ذلك كما قال (بونا فنتورا): "إن الله موجود في كل مكان في كل جسم؛ (لأن المكان حلول جسم فيه إذ لا يوجد مكان بغير المتمكن فيه) من حيث إن الأجسام تستمد وجودها من الله، ولاوجود لها من دونه، فهي مدينة بوجودها

---

(١) القديس بونا فنتورا، بين الفلسفة وعلم اللاهوت، صـ٧٧.

(٢) مضمون هذه عقيدة التثليث، كما جاءت عند النصارى هي عبارة عن الإيمان بثلاثة أقانيم، ويسمونها الآب وهو الأقنوم الأول، وهو والد الأقنوم الثاني، والابن وهو الاقنوم الثاني وهو والد الأقنوم الأول، وهو المخلص من الخطيئة، فقد صلب تكفيرًا عن خطيئة أبيه آدم على حد زعمهم، والروح القدس، وهو الاقنم الثالث، الذي تولد على ركني التثليث الآخرين بصورة دائمة وأبدية، ويقولون إن هذه الثلاثة أقنوم واحد " يراجع: عقيدة التثليث عند النصارى عرض ونقد، د / نظير محمد عياد، صـ٢١، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان.

(٣) القديس بونا فنتورا، بين الفلسفة وعلم اللاهوت، صـ٧٩.

وباستمرار هذا الوجود لها إلى الله، فالموجد بهذا المعنى مقومًا للموجود وحالًا منه"[١].

نقد عقيدة بونا فنتورا:

١- إبطال قوله بألوهية (الله، والابن، والروح القدس):

من المعلوم أن العقيدة التي يعتنقها القديس بونا فنتورا، هي النصرانية المحرفة التي تقول بألوهية (الله، والابن، والروح القدس) ثلاث آلهة في إله واحد، و يقصد بهم كما في زعمهم (الذات، والنطق، والحياة) جاء ذلك في كتاب الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ما نصه: " قالوا ـ أي ـ النصارى لو علم المسلمون مرادنا بالآب، والابن، والروح القدس، لما أنكروا علينا مرادنا، فالآب أي ـ الذات، والابن النطق الذي هو قائم بالذات، والروح القدس الحياة الثلاثة إله واحد، وهذه الثلاثة يعتقدها المسلمون[٢] ... فاقتصر على هذه الثلاثة (الآب، والابن، والروح القدس)"[٣].

٢- المصدر الحقيقي لعقيدة بونا فنتورا:

يظهر أن عقيدة النصارى المحرفة التي يؤمنون بها، إنما جاءت من الأفلاطونية الحديثة التي تدعوا إلى ذلك، وقد سار على ذلك فلاسفة المسيحيين،

---

(١) ن ـ م ، صـ٨١.

(٢) هذا الزعم باطل وذلك؛ لأن المسلمون يعتقدون بأن الله تعالى واحد في ذاته، وصفاته وأفعاله، ومن ثم لا شريك له، ولا ضد له، ولا ند له، لا تركيب فيه ولا كثرة؛ لأن ذلك ينافي واجب الوجود لذاته، جاء ذلك في كتاب التوحيد للإمام محمد عبده أن واجب الوجود "لا يكون مركبا ولا يكون قابلا للقسمة في أحد الامتدادات الثلاث أي ـ لا يكون له امتداد؛ لأنه لو قبل القسمة لعاد بها إلى غير وجوده الأول وصار إلى وجودات متعددة وهى وجودات الأجزاء الحاصلة من القسمة فكون ذلك قبولا للعدم أو تركبا وكلاهما محال " يراجع: التوحيد، للإمام محمد عبده بن حسن خير الله، (ت/ ١٣٢٣هـ) ص ـ ١٨، نشر دار الكتاب العربي.

(٣) الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، للإمام القرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ، صـ١٣٦، ١٣٧، تحقيق، د/ بكر زكي عوض، ط٢، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.

حيث ذكر صاحب كتاب (الله واحد أم ثالوث) " أن فلاسفة المسيحيين يرون أن الله سبحانه وتعالى يتكون من ثلاثة أقانيم ـ أي ـ ثلاثة عناصر أو أجزاء، وهذه الأقانيم أو العناصر الثلاث هي: (الذات، والنطق، والحياة)، فالله موجود بذاته، ناطق بكلمته، حي بروحه، كل خاصية من هذه الخواص أو العناصر التي يتكون منها الله تعطيه وصفًا معينًا أو مظهرًا خاصًا، فإذا تجلى الله بصفته ذاتًا سمي الآب، وإذا نطق فهو الابن، وإذا ظهر كحياة فهو الروح القدس"[١] وهذا ما سار عليه القديس (بونا فنتورا) وغيره من فلاسفة العصور الوسطى.

📖 أدلة إبطال أقوال القديس (بونافنتورا):

مما لا مجال فيه للشك أن عقيدة القديس (بونا فنتورا) لابد من إبطالها إحقاقًا للحق والوقوف بجواره؛ ومن ثَمَّ فهذه العقيدة قائمة على التثليث، فلقد ساق العلماء الأجلاء عدة أدلة لنفي التثليث وإبطاله وإثبات نقيضه، وهو التوحيد الخالص الذي جاءت به الرسل، **وهذه الأدلة هي:**

الدليل الأول: هذا الدليل فحواه: "إذا كان هناك ثلاثة أشخاص متميزة ومنفصلة، إذًا يكون هناك ثلاثة ذوات منفصلة ومتميزة؛ لأن كل شخص ملازم ذاته، والآن إذا كان الآب هو الله، والابن هو الله، والروح القدس هو الله، إذن فإن لم يكن الآب والابن والروح القدس ثلاثة متميزة، فلابد أن يكونوا ثلاثة ذوات متميزة، وبناء على ذلك ثلاثة آلهة متميزة وفضلًا عن ذلك أن الأشخاص الإلهية الثلاثة إما أن تكون سرمدية أو محدودة، فإذا كانت سرمدية إذن يصبح ثلاثة متميزة سرمدية (ثلاثة كلي القدرة) (ثلاثة أبدية) وهكذا ثلاثة آلهة "[٢].

الدليل الثاني: الذي يبطل ما ذهب إليه القديس (بونا فنتورا) ومن سار على شاكلته، وفي هذا الدليل **يقول الشيخ رحمت الله الهندي:** "إذا ثبت أن الشيئين بالنظر إلى ذاتيهما ضدان حقيقيان أو نقيضان في نفس الأمر فلا يمكن

---

(١) الله واحد أم ثالوث، دكتور/ محمد مجدي مرجان، صـ٩، ط١، ١٩٧٢م، نشر مكتبة النافذة.

(٢) الغفران بين الإسلام والمسيحيين، إبراهيم خليل أحمد، صـ٩٦، دار المنارة ـ القاهرة، في رد رسالة شرح التعليم المسيحي لقواعد الإيمان الكاثوليكي.

اجتماعهما في أمر واحد شخصي في زمان واحد من جهة واحدة واجبًا كان ذلك الأمر أو غير واجب، كيف؟

✍ وأن الواحد الحقيقي ليس له ثلث صحيح والثلاثة لها ثلث صحيح، وهو واحد.

✍ وأن الواحد الحقيقي جزء الثلاثة فلو اجتمعا في محل واحد يلزم كون الجزء كلاً والكل جزءًا.

✍ وأن هذا الاجتماع يستلزم كونَ الله مركّبًا من أجزاء غير متناهية بالفعل؛ لاتحاد حقيقة الكل والجزء على هذا التقدير، والكل مركب، فكل جزء من أجزائه أيضًا مركب من الأجزاء التي تكون عين هذا الجزء وهلم جرّا، وكون الشيء مركّبًا من أجزاء غير متناهية بالفعل باطل قطعًا.

✍ وأن هذا الاجتماع يستلزم كون الواحد ثُلث نفسه، وكون الثلاثة ثلاثة أمثال نفسها، والواحد ثلاثة أمثال الثلاثة، وهو ما لا يقر به أي عاقل"[1].

الدليل الثالث: وهو ما ذكره الشيخ رحمت الله الهندي أيضًا " لو وُجِد في ذات الله ثلاثة أقانيم ممتازة بامتياز حقيقي كما قالوا فمع قطع النظر عن تعدد الوجباء يلزم أن لا يكون الله حقيقة محصَّلة بل مركبًا اعتباريًّا، فإن التركيب الحقيقي لا بد فيه من الافتقار بين الأجزاء، فإن الحجر الموضوع يجنب الإنسان لا يحصل منهما أحدية، ولا افتقار بين الواجبات، لأنه من خواص الممكنات، فالواجب لا يفتقر إلى الغير ،وكل جزء منفصل عن الآخر .

✍ وإن كان داخلًا في المجموع، فإذا لم يفتقر بعض الأجزاء إلى بعض آخر لم تتألف منها الذات الأحدية، على أنه يكون الله في الصورة المذكورة مركبًا، وكل مركب يفتقر في تحققه إلى تحقق كل واحد من أجزائه، والجزء

---

(١) إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي، (ت/ ١٣٠٨هـ) (٧٢٥/٣) دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود – الرياض، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

غير الكل بالبداهة، فكل مركب مفتقر إلى غيره، وكل مفتقر إلى غيره ممكن لذاته، فيلزم أن يكون الله ممكنًا لذاته ،وهذا باطل"(١).

ومن خلال الأدلة السابقة تبين كذب ما ذهب إليه القديس (بونا فنتورا)، وكشف حقيقة معتقده الفاسد، كما أن قوله في الإله بالتثليث لا يقبله العقل ولا المنطق إذن كيف يكون (١+ ٣) و(٣×١) يكون الناتج =١.؟ ثلاث ذوات في ذات واحدة.

وعلى هذا فلقد دعا الإسلام في بساطة ووضوح بوحدانية الله، فالإسلام يقدم تصورًا عن الله المحرر من كل شيء أن يكون شبيهًا بالإنسان أو أن يكون شبيهًا بالله، وفي هذا يقول أشعياء ((بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه)) (أشعياء ٤٦: ٥) ويقول أيضًا: ((أنا الله وليس آخر الإله وليس مثلي)) (أشعياء: ٤٦: ٩)(٢).

ومن هنا فكلامهم متخبط ومتناقض ؛وذلك لأنهم يجعلون الآب جوهرًا خاصًا ، والابن والروح جوهرهما تابع لجوهر الآب، نقول لهم لماذا لم يختصا كل من (الابن والروح) بجوهر خاص مثل الآب، ويأخذان ما يأخذه الآب من الصفات وغيرها؟ ومن هنا فقد وجه الإمام الباقلاني اعتراضًا **فحواه ما يلي:**

"يقال لهم إذا كانت الأقانيم جوهرًا واحدًا، وكان الآب جوهره جوهر الابن وجوهر الروح من جوهرهما، فلم كان الإبن والروح بأن يكونا ابنا وروحًا خاصين للآب أولى من أن يكون كل واحد منهما أبا، وأن يكون الأب خاصًا لهما إذا كان الروح والابن جوهرين لأنفسهما وكان جوهرهما من جوهر الآب، وكان الآب جوهرا لنفسه وكان قديمًا لنفسه، وكانا أيضا قديمين لأنفسهما، ولم يكن الآب قبل الأقانيم والخواص، ولا أسبق في الوجود ولا الخواص أسبق منه، فما الذي جعله بأن يكون أبا لهما أولى من أن يكون كل

---

(١) ن-م (٣ / ٧٢٦)

(٢)**الغفران بين الإسلام والمسيحيين، إبراهيم خليل أحمد، صـ٩٧، مرجع سابق.**

واحد منهما أبا لما جعلتموه أبا له؟، وأن يكون الأب خاصا فلا يجدون إلى تصحيح تحكمهم سبيلا"[١].

ثانيًا: خلط (بونا فنتورا) بين الذات والصفات في جميع المسائل:

حينما خلط القديس بونا فنتورا بين (الذات والصفات)، وهذا الخلط ناتج عند انتمائه لمذهب المعلم الأول (أرسطو)، (فبونا فنتورا) وصف الذات بأنها تمتاز عن غيرها من الذوات "؛ لأنه " يعقل ذاته بذاته، وأن العقل والمعقول عنده أمر واحد حقيقة واحدة، والمعقول من الذات الإلهية لا يضيف علمًا جديدًا إلى العاقل منه، والعاقل منه لا يفيد أمرًا جديدًا لم يكن له؛ لأن المعقول هو العقل فكيف يضيف الموجود إلى نفسه علمًا جديدًا بنفسه من نفسه ؟"[٢]، ونفس هذه الإشارة نجدها عند أرسطو حينما وصف الذات بأنها "المحرك الأول ينتج الحركة اللامتناهية، فلا يمكن إذن أن يكون جسمانيًّا؛ ولهذا لا يوجد فيه أي امتداد، ومعنى هذا بعبارة أخرى ـ أن المحرك الأول عقل، أو روح "[٣].

ومن هنا فإن (القديس بونا فنتورا) لم يصف الإله بالمادة؛ لأن المادي يقبل التقسيم والتجزئة، ومن ثم فكلامه يوافق ما جاء في موسوعة الأنبا (غريغوريوس) *Bishop Gregory* حيث ذكر أن الإله " ليس ماديًّا، ولا جسمانيًّا، ولكنه في ذاته روح روحاني، صحيح أنه فيما بعد اتخذ له جسدًا من العذراء مريم ظهر به بين الناس، ولكنه هو ذاته هو كائن روحاني، ثم هو بسيط بمعنى أنه غير مركب من أجزاء، ومن حيث هو روح لا يقبل التقسيم أو التجزئة ... يقول الكتاب المقدس"؛ لأن الله روح والذين يسجدون له، فبالروح

---

(١) تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت/ ٤٠٣ هـ)، صـ ١٠٧، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ–١٩٨٧م.

(٢) القديس بونا فنتورا، بين الفلسفة وعلم اللاهوت، صـ٧٧.

(٣) خلاصة الفكر الأوربي، أرسطو، د / عبد الرحمن بدوي، صـ١٧١

والحق ينبغي أن يسجدوا (يوحنا ٤: ٢٤)، ويقول ماربولس: "إن الرب هو روح وحيث يكون روح الرب فهناك الحرية (كونتوس الثانية ـ ٣: ١٧)[١].

✍ إبطال ما ذهب إليه (بونا فنتورا) في الصفات الإلهية:

لقد خلط القديس (بونا فنتورا) بين الذات والصفات فجعل الصفات كالقدرة والإرادة والعلم هما الذات والعكس وهذا بدهي البطلان؛ لأن الصفة قائمة بالذات، لامتناع وجود ذات بدون صفة، فإذا وجدت الصفة وجدت الذات لكن مفهوم الذات يختلف عن مفهوم الصفات، فهي عند السادة الأشاعرة والماتريدة أنها (هي هي ، ولا هي غيره) كما هو مذكور في كتب المتكلمين .

✍ علاقة الذات بالصفات عند الأشاعرة:

علماء الأشاعرة فرقوا بين الذات، وبين الصفات، فالذات شيء، والصفات شيء آخر، فالذات عندهم تختلف عن الصفات، فهي كما قال الإمام الأشعري " صفاته لا هي هو، ولا غيره، وكذلك القول في الصفات أنها لا تتغاير، كما أنها ليست بغيره، وأن العلم لا هو القدرة، ولا غيرها، وكذلك سائر الصفات "[٢]، ومعنى ذلك أن مفهوم الذات غير مفهوم الصفات، وبناء على ذلك فإن حقيقة كل منهما عند انفرادها تختلف تمامًا عن الأخرى.

يقول الآمدي: "الواجب أن كل ذات قامت بها صفات واجبة زائدة عليها، فالذات غير الصفات وكذا كل واحد من الصفات غير الأخرى إن اختلفا بالذوات بمعنى أن حقيقة كل واحد والمفهوم منه عند انفراده غير مفهوم الآخر

---

(١) اللاهوت النظري (الله والوجود والكون وطبيعة الملائكة)، الأنبا غريغوريوس، صـ١٧، نشر جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي، شركة الطباعة المصرية، ٢٠٠٧م.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت/ ٣٢٤هـ)، صـ ٥٤٦، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، نشر دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

لا محالة، نعم إن لم يصح إطلاق اسم الغيرين، ولا القول به صفة عن ذات الله تعالى وصفاته مع الاعتراف بكونها مختلفة الحقائق والذوات ؛ لعدم ورود السمع به فهو جواب، لكنه مما لا يقدح في المطلوب"(١).

ادعائه بأن الكلمة والابن يحملان صور الموجودات:

لقد جعل (بونا فنتورا) (الابن) الذي هو أحد الأقانيم الثلاثة المعروفة عند النصارى بأنه (يحمل في طياته صور الموجودات، وهذا الزعم باطل؛ لأنه لا أساس له من الصحة بل العقل والمنطق يرفضان هذا الزعم الشنيع، فما قاله هذا الفيلسوف بأن " تعدد الصور أو تشخصها لا يرجع إلى حقيقة الصورة كصورة، ولكنه يرجع إلى المادة، فالمادة هي مبدأ الفردانية والتعدد والكثرة"(٢).

يبدوا من تصور (بونا فنتورا) للذات الإلهية أن المادة عنده هي أصل الأشياء بل هي مبدأ الفردانية، وهذا الكلام جذوره موجودة في الفلسفة الإغراقية التي تقول بأزلية الكلمة، جاء في كتاب محاضرات في النصرانية للإمام أبو زهرة: "إن اللاهوت المسيحي مقتبس من نفس المعين الذي كانت فيه الأفلاطونية الحديثة (بريد فلسفة أفلاطون التي كانت المعين الأصلي للفلسفة الأفلاطونية الحديثة) ولذا نجد بينهما (أي اللاهوت المسيحي والأفلاطونية الحديثة). مشابهات كبيرة، وإن افترقا أحياناً في بعض التفاصيل، فإنهما يرتكزان على عقيدة التثليث، والثلاثة الأقانيم واحدة فيهما "(٣)، ومن هنا فالعلم الإلهي عندنا ـ نحن ـ صفة من صفات المعاني المعروفة عند (الأشاعرة والماتريدية)، تتعلق بالأشياء تعلق انكشاف وإحاطة دون سبق خفاء أو جهل،

---

(١)غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت / ٦٣١هـ) صـ ١٤٦، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

(٢) القديس بونا فنتورا، بين الفلسفة وعلم اللاهوت، صـ٧٧.

(٣) محاضرات في النصرانية، للشيخ أبو زهرة، صـ٣٨.

والله يعلم الأشياء أزلًا، ولا يخفى عليه شيء من أمرها، يعلم الكليات والجزئيات، بخلاف ما قرره فلاسفة الإسلام.

✍ نقض قوله بالمماثلة بين (الآب والابن)في الجوهر والصفة:

لقد جعل القديس بونا فنتورا (الأقانيم الثلاثة) (الآب ،والابن، والروح القدس) متماثليين من جميع الوجوه، في الجوهر والصفات، وبناء على ذلك فإن ما يجمع تلك الأقانيم الثلاثة من الصفات والجواهر هو المساواة، وما قاله (بونافنتورا) فيه تصريح شديد لعقيدة الثالوث[١] التي تقول بالمساواة بين الآب والإبن، وفي ذلك يقول: (إلياس مقار) إن المسيح يقول: "(أنا والآب واحد) (يوحنا ـ ١٠: ٣٠) وليس هناك تعبير أقطع وأحسم من هذا التعبير عن لاهوت المسيح، بل لعله التعبير الذي يطوي أو يغني عن أي تعبير آخر بل هو التعبير الذي في ضوئه يتيسر تفسير سائر العبارات أو الأفكار أو التعاليم الأخرى المختصة بشخص المسيح وطبيعته ولاهوته"[٢].

✍ والحق أن كلام المسيحيين متناقض في عقيدة الوحدانية والثالوث.

إذ يعتقد (آريوس) (*Arius*)[٣] وهو من أشهر رجال الوحدانية ونفاة التثليث، إذ يعد قوله بمثابة سهم ثاقب على أفواه النصرانية جمعاء، خاصة الذين يقولون بالتثليث، ومن ثم يذهب بعض النصارى وعلى رأسهم القس

---

(١) وتعني كلمة ثالوثي التي يشتق منها مصطلح الثالوث الأقدس بأن الله يعلن ذاته باستمرار على أنه موجود منذ الأبد في ثلاثة أقانيم " أشخاص " الآب، والإبن، والروح القدس " يراجع: حقيقة لاهوت يسوع المسيح، جوش ماكدويل، وبارت لارسون، صـ١٥. مرجع سابق.

(٢) إيماني قضايا المسيحية الكبرى، إلياس مقار، صـ٨٥، دار الثقافة ـ القاهرة، ط١.

(٣) آريوس: هرطوقي شهير ليبي الأصل، نحو ٢٥٦ / ٣٣٦، أخذ العلم عن لوقيانوس الأنطاكي، وسيم كاهنًا، وأخذ ينشر آراءه قبل سنة ٣٢٠ بقليل، فكفره من أجلها مجمع عقد في الأسكندرية، وكان يقول بأن الله واحد غير مولود لا يشاركه شيء في ذاته " معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، صـ١٠.

(إلياس مقار) *Elias Makar* إلى أن آريوس قد نادى بعدم مساواة الابن والروح القدس للآب، إذ إن كليهما مخلوق من الآب، وعلى هذا الأساس يكونان أقل منه، وإن كان الآب جعلهما معًا متشابهين لطبيعته الإلهية، كما أعطاهما المقام الأول بين الخليقة، إذ خلقهما أولًا، وفوض إليهما *خلق بقية* الخليقة والعالم وفداء البشرية بعد سقوطها، ومن ثم خلق العالم وافتداه بواسطة الابن، وهذا بدوره استخدام الروح القدس في الأعمال التي قام بها إتمامًا لمقاصد الله الأزلية[١]، ومن هنا فإن قول آريوس يعد بدعة في نظر هؤلاء الذين يقولون بالثالوث، وقد أطلق البعض على كلام(آريوس) إنه بدعة، والحق أن ما قاله هذا الرجل هو الإيمان بالله الواحد، لكنه أخطأ حينما سمى الإله بالآب.

يقول الشهرستاني: "وزعم آريوس: أن الله واحد، سماه أبا، وأن المسيح كلمة الله وابنه على طريق الاصطفاء، وهو مخلوق قبل خلق العالم، وهو خالق الأشياء، وزعم: أن لله تعالى روحا مخلوقة أكبر من سائر الأرواح، وأنها واسطة بين الآب والابن، تؤدي إليه الوحي"[٢].

ومنهم من يقول بالثالوث المخالف تمامًا للتوحيد الذي نادي به المسيح وأتباعه، حيث نجد "من كان يقول إن هناك آلهة ثلاثة: (صالح، وطالح، وعدل) بينهم، وهم أتباع مرقيون، ولعل هذه النحلة من آثار المجوس؛ لأنهم هم الذين يقولون بإله الخير وبإله الشر. "[٣] ومن هنا فكلام المسيحيين متخبط في معتقدهم الفاسد بأن المسيح ابن الله وبالتالي كلامهم باطل.

٣- <u>إبطال قوله بالتشبيه والتجسيم والبساطة واللامتناهي.</u>

مما لا مجال فيه للشك أن القديس (بونا فنتورا) قال بالتشبيه والتجسيم واللامتناهي، وهذه الأقوال ما هي إلا تعبيرًا عن عقيدته التي يعتنقها، ومن ثم لا

---

(١) إيماني قضايا المسيحية الكبرى، إلياس مقار، صـ٧٧، مرجع سابق

(٢) الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، (المتوفى: ٥٤٨هـ)، (٢/ ٣٢) نشر، مؤسسة الحلبي.

(٣) محاضرات في النصرانية، للشيخ أبو زهرة، صـ١٥٣.

نسلم بما قال؛ لأن ذلك لا يقبله العقل فضلًا عن النقل، وعليه فقد فند العلماء ما قاله القديس بونا فنتورا ومن سار على شاكلته؛ حيث يقول: "إن الله موجود في كل مكان؛ لأن المكان يعني حلول جسم فيه إذ لا يوجد مكان بغير متمكن فيه"(١). وهذا الكلام الذي ادعاه هذا القديس ليس ببعيد عما يعتقده النصارى من التجسيد.

التجسيد الإلهي عند المسيحيين وكيفيته:

يرى المسيحيين أن الابن تجسد من أجل أن يخلص البشرية من الخطيئة التي ارتكبها أبو البشر " فحلَّ بلاهوته في بطن العذراء مريم واتخذ منها جسدًا بروح عاقلة واتحد به اتحادًا كاملًا، وبعد تسعة أشهر خرج من العذراء مريم إلها متنأسا، أي ـ إنه إله ظهر في إنسانيته كاملة (لوقا ٢: ٥٢) واعتمد أو تعمَّد، كإنسان وصام كإنسان، ومات كإنسان"(٢).

ومن هنا فهم يقولون بالتجسيد ـ أي ـ أن المسيح تجسد في الناسوت مريم العذراء، وبالتالي أخذ القديس بونا فنتورا بمقالتهم هذه، وقرر أن الكلمة تجسد في (مريم) من أجل خلاص البشرية من الخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر." فالكلمة تجسد ودعي ابنًا؛ لأنه صار عن الآب، ثم الروح القدس لطهارته، فهؤلاء ثلاثة أقانيم لله الواحد "(٣). ونلحظ أن المسيحيين يجعلون التجسيد من مستلزمات الكمال الإلهي، ولذا فهو يعد وسيلة للتقريب، وبالتالي فهو " لائق بكمال الله؛ لأنه من مستلزمات هذا الكمال العطف على الناس وإنقاذهم من خطاياهم وتقريبهم إلى الله ؛ ليعرفوه ويفيدوا منه، والتجسيد هو الوسيلة الوحيدة لتحقيق هذه الأغراض"(٤).،ومن هنا فالتشبيه والتجسيم اللذان قالا بهما (بونا

---

(١) القديس بونا فنتورا، بين الفلسفة وعلم اللاهوت، صـ٨١.

(٢) موسوعة الأنبا غريغوريوس، اللاهوت العقيدي، (١/ ٧٢٧) مرجع سابق.

(٣) ن ـ م ـ (١/ ٥٨٠)

(٤) الله في المسيحية، عوض سمعان، صـ ٤١٣، شركة الطباعة المصرية ـ العبور ـ نشر: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة جاردن سيتي.

فنتورا) مرفوضان لا يقبلهما العقل فضلًا عن النقل.

إبطال التجسيد، والمكان والجسمية:

يقصد بالمكان عند المتكلمين: "هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم وتنفذ فيه أبعاده"(١)؛ وعليه فإن البارئ جل وعلا لا يحل في مكان؛ لأنه لو حل فيه لزم قدم المكان أو الجهة والتالي باطل فبطل ما أدى إليه وهو كونه في مكان، فالجوهر هو الجسم الذي يحتاج إلى عرض، وله صفات، ومن صفاته الاجتماع، والافتراق، والحركة والسكون وغير ذلك مما يتصف به الحوادث، وكل ذلك محال على الله.

يقول الإمام الغزالي: "إنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر؛ إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر، وإذ بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما؛ لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر، فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار، وهذه سمات الحدوث، ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم، لجاز أن يعتقد الإلهية للشمس والقمر، أو لشيء آخر من أقسام الأجسام، فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر، كان ذلك غلطا في الاسم مع الإصابة في نفي معنى الجسم "(٢)، ومن هنا يتبين لنا فساد ما قاله (بونا فنتورا) حيث إن كلامه في الإله من حيث التشبيه والتمثيل، والحلول والاتحاد وغير ذلك مما قاله دعاة النصارى ، فقد وصفهم القرآن بقوله: **(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**. سورة المائدة، (٧٣).

---

(١) التعريفات، للجرجاني ،صـ٢٢٧.

(٢)قواعد العقائد، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي،، تحقيق: موسى محمد على ـ نشر: عالم الكتب-لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م صـ ١٦٠.

المبحث الثالث
الألوهية في فلسفة القديس توما الأكويني:

مـــدخـــــل:

مما لا مجال فيه للشك أن القديس (توما الأكويني) قد استدل على وجود الإله بعدة براهين أثبت من خلالها وجوده ، ونلحظ أنه كان على العكس من القديس (بونا فنتورا)، حيث كان الأخير يرى أن وجود الإله واضحًا بذاته، فلا حاجة لدليل، أمّا القديس توما الأكويني فإنه يرى أن وجود الإله ليس واضحًا بذاته، فلابد من عدة أدلة تثبت وجوده ، وهذا ما سنتناوله في الأسطر القادمة.

براهين وجود الإله عند توما الأكويني:

من المعلوم أن القديس توما الأكويني قد ساق عدة براهين تثبت وجود الإله ، ومن خلال ما سنعرضه من هذه البراهين سوف نصل إلى نتيجة حتمية تقتضي بوجود إله لهذا الكون.

البرهان الأول: ويسمى بدليل الحركة *alharaka*، وهذا الدليل الذي أسماه توما الأكويني (بدليل الحركة)، ويمكن إيجاز هذا الدليل على النحو التالي: "الحركة في الكون أمر أكيد وبين لحواسنا، وكل متحرك فهو متحرك من آخر؛ لأنه لا يمكن لشيء أن يتحرك إلا أن تكون فيه القوة التي تدفعه للحركة، أو أن يكون متحركًا بالفعل، وليست الحركة سوى الانتقال من حال القوة إلى حال الفعل، ولكن لا يمكن أن ينتقل شيء من حال القوة إلى حال الفعل بغير وجود شيء آخر ينقله من تلك إلى هذه"(١).

ومن هنا فدليل الحركة عند (توما الأكويني) مبني على المدركات الظاهرة، فالحواس الظاهرة تدرك هذه الحركة، باعتبار أن الحركة ليست لها القوة في التحرك؛ لأن هذا من باب الامتناع، فلابد لكل حركة من محرك

---

(١) الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ص١٩، د / ميلاد زكي غالي، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية.

يحركها ولا يتحرك، ويُغيرها ولا يتغير، إذًا فالحركة مكمونة في القوة، وهي في الوقت نفسه تحتاج إلى قوة خارجة تنقلها من حال القوة إلى حال الفعل.

ونلحظ أن هذا الدليل قد استقاه القديس توما من (أرسطو ٣٨٤ ـ ٣٢٢ ق. م) (الحركة والمحرك الأول)*Moviment i primer moviment* ، والذي يعني كما يقول (المعلم الأول): "أن الحركة فعل ما هو بالقوة بما هو بالقوة، فهي أولًا فعل، بمعنى أنها انتقال إلى الفعل؛ فهنا يجب أن يفرق بين الفعل بمعنى (الكلمة) سواء أكان الفعل تحقق الكمال *Perfection*....، فتحريك النفس لليد مثلًا، من أجل تحصيل شيء، حركة تنتهي الغايات منها بإيصال الشيء إلى اليد"(١)، ومن هنا فالحركة لابد لها من محرك يحركها، وبالتالي لا يمكن أن تكون الحركة من ذاتها، بل من شيء من خارج عنها، كما في حركة اليد، فلها حركة سابقة عليها تسمى(النفس)، وبناء عليه فإن القديس توما الأكويني قد أثبت وجود الإله عن طريق الحركة التي لابد لها من محرك، فالعالم يحتاج إلى محرك يحركه، وتمسى حركته علة فاعلية.

البرهان الثاني: دليل العلة المؤثرة: ويعني أن هناك أثر، ومؤثر(٢) وتقوم هذه الفكرة على النظر في المحسوسات مع ترتيبها في الوجود بمعنى أن المعلول متأخر عن علته، والعلة سابقة في الوجود، وبناء عليه، فإن هذا الدليل يسمى "البرهان بالعلية "(٣)، وقد ذكر صاحب كتاب فلسفة العصور الوسطى أن هذا البرهان " قد أشار إليه أرسطو إشارة عابرة في كتابه (ما بعد الطبيعة) *Beyond nature*، ثم جاء من بعده الشيخ الريس بن سينا حيث فصله وأقامه

---

(١) خلاصة الفكر الأوربي، أرسطو، د / عبد الرحمن بدوي، صـ١٤٤، نشر مكتبة النهضة المصرية ـ مصر،١٩٤٣م

(٢) وهذا ما نراه واضحًا في كلام الأعرابي حينما كان يسير في الصحراء، فنظر إلى السماء، والأرض وما فيهما فقال: (البَعرةُ تدل على البعير، والأثَر يدل على المسير، ليل داجٍ، ونهار ساجٍ، وسماء ذات أبراج، أفلا تدل على الصانع الخبير؟!)

(٣) فلسفة العصور الوسطى، عبد الرحمن بدوي، صـ١٤٦.

برهانًا عقليًا محكم الأجزاء، ثم (البير الكبير)***The big beer*** فصاغا هذا البرهان على أساس ابن سينا، والواقع أن هناك تشابهًا بين هذا الدليل ودليل ابن سينا، حتى قال البعض إن القديس توما الأكويني قد أخذ هذا الدليل برمته من ابن سينا"(١).

ومن هنا فدليل الأثر والمؤثر، أو العلة والمعلول، إنما هو في الأصل دليل الفلاسفة الإلهيين، خاصة الفيلسوف ابن سينا، وبناء على ذلك فإن هذا الدليل يثبت وجود الله تعالى إذ يستحيل حدوث معلول بدون علته.

ومضمون البرهان الثاني لتوما الأكويني"أننا إذا رأينا أثرًا دلنا هذا مباشرة على أن لهذا الأثر مؤثر أوجده، لكن يجب أن ننبه أن الأشياء تؤثر في بعضها البعض، فحرارة الشمس تؤثر في الأرض بالدفء، وتناول الثمار التي نضجت بحرارة الشمس مثلًا تؤثر في الإنسان بالنمو والقوة وهكذا، كل المجودات يؤثر بعضها في بعض، فهل حركة المؤثر الأول من نفس حركة الأشياء في بعضها البعض ؟، وهنا يجب أن نفرق بين تأثير الأشياء في بعضها البعض وتأثير المؤثر الأول، فالأشياء تؤثر وتتأثر، ولكن المؤثر الأول يؤثر ولا يتأثر"(٢)، وجاء في كتاب (الخلاصة اللاهوتية) لتوما الأكويني أن تدبير العالم له أثر واحد وليس متكثرًا حيث " يظهر أن لتدبير العالم أثرًا واحدًا لا آثار متكثرة، إذ يظهر أن أثر التدبير ما يحصل بالتدبير في المدبرات، وهذا واحد فقط، وهو خير النظام كما يتضح في العسكر، فإذًا ليس لتدبير العالم إلا أثرًا واحدًا فقط"(٣).

ونلحظ من خلال الدليل السابق لتوما الأكويني أن الشيء لا يمكن أن يكون علة ومعلول في آنٍ واحد؛ لأنه لو كان كذلك لزم تقدمه على نفسه وتأخره وهذا ممتنع عقلًا، وبالتالي وجب أن يكون لكل مؤثر أثر، ولكل مخلوق خالق، ومن يعارض ذلك، فإنما هو مكابر لا يمكن أن يصل إلى الحقيقة؛ وبالتالي يتخبط في

---

(١) ن ـ م ، بتصرف يسير.

(٢) ن ـ م ، صـ١٥١.

(٣) كتاب الخلاصة اللاهوتية، القديس توما الأكويني، صـ٥٩١، مجلد ٢، ترجمه من اللاتينية إلى العربية، الخوري بولس عواد، حقوق الطبع عائدة إلى المترجم ـ سورية.

العمى والضلال، **كما نلحظ أيضًا:** أن هذا الدليل مستمد من (أرسطو)، وقد أخذ به (ابن سينا) (وألبرت الأكبر).

الدليل الثالث: دليل الممكن والواجب: وقبل أن نعرض هذا الدليل، فلابد من تعريف (الممكن والواجب) باعتبارهما قسمان من أقسام الحكم العقلي، فالممكن ما لا يجب وجوده ولا عدمه، أو ما لا يمتنع وجوده ولا عدمه"[١]، بينما الواجب لذاته: "هو الموجود الذي يمتنع عدمه امتناعًا ليس الوجود له من غيره؛ بل من نفس ذاته؛ فإن كان وجوب الوجود لذاته، سمي: واجبًا لذاته"[٢]، وقد عرف ابن سينا كلًّا منهما بقوله " إن الواجب الوجود هو: الموجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال، وأن الممكن الوجود هو: الذي متى فرض غير موجود ـ أو موجودًا لم يعرض منه محال"[٣].

ومن خلال هذه التعريفات السابقة لمفهومي (الممكن والواجب) نجد القديس توما الأكويني قد عرض الدليل بقوله: "نشاهد في الواقع أشياء ممكنة ـ أي ـ يجوز أن تكون موجودة، ويجوز ألا تكون موجودة بأن تكون معدومة"[٤]، فالشيء قد يمكن وجوده وعدمه، فقد يتعرض الشيء للفساد، وبالتالي فهو معدوم لا وجود له البتة، ثم قسم الواجب إلى قسمين، الأول واجب بذاته، والثاني واجب بغيره، وهذا التقسيم قد استقاه من المتكلمين حيث قسموا الواجب إلى

---

(١) المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، نشر دار الجيل، بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م: (٢/٣٢٦).

(٢) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)،صـ٢٤٩،المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، نشر دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ، ط١، ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م

(٣) النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، للشيخ الرئيس أبي على الحسين بن سينا، صـ ٢٢٤، ط: ٢، ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م.

(٤) فلسفة العصور الوسطى، عبد الرحمن بدوي، صـ١٥١.

هذين القسمين السابقين، ومن ثم فالواجب لذاته لا يحتاج إلى علة، فعلته من ذاته وليست خارجة عنها، ويطلق هذا على واجب الوجود، وأما (الواجب لغيره)، فهو ما كان وجوده متوقفًا على الغير، أو ما كان الغير سببًا في وجوده، مثل (العالم)، وبالتالي لابد من الوصول إلى واجب الوجود لذاته، بل غيره واجب به، وهذا ما يطلق عليه الجميع (الله جل جلاله) كما نلحظ أن هذا البرهان مستمد من الفارابي عن طريق ابن سينا.

الدليل الرابع: التدرج في مراتب الوجود: هذا الدليل مستمد من (أفلاطون) وقد أخذ به (اوغسطين وأنسلم)، وهو في مضمونه مبني على مراتب الوجود، ومن المعلوم أن كلمة الوجود مقولة بالتشكيك[1]، وبالتالي فإن هناك تدرجًا في مراتب الوجود، ويقوم هذا البرهان على المشاهدة ما في الوجود من تفاوت، فنحن نشاهد في الموجودات تفاوتًا في الخير، فهناك إنسان صادق، وآخر كاذب، وثالث قد يصدق أحيانًا ويكذب أخرى، فهذا إن دلّ فإنما يدل على التفاوت في الخلقة وفي الطباع.

وفي علم المنطق باب التصديقات ـ أي ـ القضايا فهي ـ أي القضية كما يقال في تعريفها " قول يحتمل الصدق والكذب لذاته " والصدق والكذب متوقفين على القول بغض النظر عن قائل القول، ومن هنا فالقديس توما الأكويني جعل هذا الدليل الذي نحن بصدده مبني على التفاوت في الوجود، فيقول "فإذا كنا بالضرورة نجد في الوجود أحق ومحقوقًا فلابد من القول بوجود حق مطلق،

---

(١) ذكر صاحب التعريفات أن " التشكيك بالأولوية: هو اختلاف الأفراد في الأولوية وعدمها، كالوجود، فإنه في الواجب أتم وأثبت منه وأقوى منه في الممكن. التشكيك بالتقدم وبالتأخر: هو أن يكون حصول معناه في بعضها متقدمًا على حصوله في البعض، كالوجود أيضًا؛ فإن حصوله في الواجب قبل حصوله في الممكن. التشكيك بالشدَّة والضعف: هو أن يكون حصول معناه في بعضها أشد من البعض، كالوجود أيضًا؛ فإنه في الواجب أشد من الممكن." راجع: التعريفات، الجرجاني، صـ٥٧.

والحق المطلق ... يشمل الوجود المطلق، فالحق المطلق يقتضي بالضرورة الوجود المطلق، فهناك إذَنْ موجود مطلق وهو الله"(١).

البرهان الخامس من جهة نظام الطبيعة(٢): من يدقق النظر في الطبيعة يجد فيها (النظام والتدبير) واضحين لا غموض فيهما، وقد أدلى القديس (توما الأكويني) بالاستدلال على وجود الله من خلالهما، وذلك من خلال النظام البديع والترتيب العجيب في الكون العريق، فلقد أخذ (توما) هذا النظام البديع والترتيب العجيب الذي إن دلّ فإنما يدل على وجود صانع لهذا الكون.

وقد ساق الدكتور عبد الرحمن بدوي في كتابه فلسفة العصور الوسطى الدليل الخامس الذي ينص على: " أن كل نظام موجود ومشاهد يقتضي أن تكون له علة أوجدته ومنحته هذا النظام وأودعت فيه القوانين التي تنظم شؤونه ووجوده واستمراره وحركاته وسكناته يؤكد حقيقة هذا النظام والإحكام أن كل ما في الكون يسير نحو غاية يحققها، بل كل الأشياء تتجه نحو تحقيق غاية واحدة"(٣)، ومن هنا فإن الكون بلا شك يسير نحو غاية واحدة هذه الغاية معناها النظام والتدبير اللذين يقتضيان وجود علة مؤثرة ومدبرة لهذا الكون البديع، "فكل علة لا بد إذن أن تكون عاقلة ومنظمة للكون وهي الأصل في هذا النظام والضمان الثابت لاستمراره"(٤).

وهذا الدليل أفلاطوني عند الأكويني ولكنه أرسطوطالي كما يقول الدكتور يوسف كرم حيث "جاء فيما بعد الطبيعة (م١ ف ١) أن الشيء الحاصل على طبيعة ما للغاية هو دائمًا مصدر اشتراك الأشياء الأخرى في تلك الطبيعة"(٥).

يتضح مما سبق أن القديس توما الأكويني يختلف عن القديس بونا فنتورا من حيث عرض الأدلة على إثبات وجود الإله وقد امتاز عن القديس (بونا فنتورا)

---

(١) فلسفة العصور الوسطى، عبد الرحمن بدوي، صـ١٥١.

(٢) تاريخ الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى، د / يوسف كرم، صـ١٤٦.

(٣) فلسفة العصور الوسطى، عبد الرحمن بدوي، صـ١٥٢.

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) تاريخ الفلسفة في العصور الوسطى، يوسف كرم، صـ١٤٦.

بأن براهين وجود الإله عنده براهين ضرورية منطقية يجب على الفيلسوف اللاهوتي الاعتناء بها وعرضها على سبيل التفصيل والتوضيح؛ وذلك لأن الإله عند الأكويني ليس واضحًا بذاته بخلاف القديس بونا فنتورا الذي يقول بأن وجود الإله واضحًا بذاته فلا يحتاج إلى دليل.

نقض بعض أدلة الألوهية عند القديسن توما الأكويني

من المعلوم لدى الدارسين أن القديس توما الأكويني قد استدل على وجود الإله بعدة أدلة ليثبت من خلالها أنه موجود، ووجوده عنده يحتاج إلى دليل، وهذه الأدلة باطلة وذلك؛ لأنها مخالفة تماما لمنهج فلاسفة الإسلام،وعلى كل حال فإننا سوف نكشف النقاب عنها في الأسطر القادمة في إطار المنهج العقلي الصحيح، معتمدين على الأدلة العقلية الصحيحية التي نثبت من خلالها وجوده تعالى

أولا:براهين وجود الله عند توما الأكويني ونقضها

يرى توما الأكويني أن وجود الإله يحتاج إلى دليل، فليس واضحا بذاته ، وعليه فقد أمدنا هذا الفيلسوف بعدة أدلة وجميعها ليست من فكره الخالص، وإنما قد استقاها من غيره من الفلاسفة، وكل هذه الأدلة لا بُدَّ أن نقف معها وِقْفَةً نقدية حتى يتبين لنا الحق في المسألة.

بالنسبة للبرهان الأول: وهو دليل الحركة: **الذي مفاده:** "أنّ كل متحرك فهو متحرك من آخر؛ لأنه لا يمكن لشيء أن يتحرك إلا أن تكون فيه القوة التي تدفعه للحركة، أو أن يكون متحركًا بالفعل، وليست الحركة سوى الانتقال من حال القوة إلى حال الفعل، ولكن لا يمكن أن ينتقل شيء من حال القوة إلى حال الفعل بغير وجود شيء آخر ينقله من تلك إلى هذه"(١).

نقض هذا الدليل

١ ـ هذا الدليل في فحواه يعتمد على الحركة، والمحرك إلى ما لا نهاية وهذا نوع من العبث .

ويستمر الأمر عند توما الأكويني إلى ما لا نهاية ؛ ومن هنا فتوما الأكويني لم يصل في النهاية إلى القول بوجود المحرك الأول الذي يحرك ولا يتحرك؛ لأن حركته من ذاته، وهذا الدليل الذي في فحواه يعتمد اعتمادًا كليًّا

---

(١) الله في فلسفة القديس توما الأكويني، ص١٩، د / ميلاد زكي غالي .

على الدور، والتسلسل المحالين[١]، و"لأنّ هذا نوع من العبث .. ؛ ذلك لأننا بهذا الأسلوب لن يكون لدينا محرك أول على الاطلاق وهذا لا يتفق مع المنطق، حيث إن وجود حركة من نوع ما، تعتبر دليلًا على وجود محرك أول تسبب في حدوث حركات تسببت هي بدورها في حدوث هذه الحركة، ولهذا وجب الوصول إلى محرك أول ـ أي ـ محرك لا يتحرك، فاعل غير مفعول هذا المحرك الأول كما نعلم كلنا هو: الله " [٢]..

٢ ـ إن هذا الدليل ـ دليل الحركة والمحرك، قد استقاه من أرسطو في كتابه (السماع الطبيعي)، الفصل الثالث الذي بعنوان (الحركة هي فعل المحرك في المتحرك)[٣]، ولكن الفيلسوف (أرسطو) لم يصرح بهذا " الاستدلال بأن المحرك هو الإله، بل يعبر عنه بـ(نفس العالم)، ولكن هذه النفس عنده من فعل الإله"[٤]. ومن هنا فقد توصل أرسطو بأن المحر ك الذي يتحرك من نفسه أولا، ثم يحرك غيره، إنما هي النفس التي تعني عنده الإله، ونلحظ أن (الإله) عند (توما الأكويني) له شأنه ومكانته؛ لأنّه يؤمن بديانة سماوية، بخلاف

---

(١) عرف الدور الشريف الجرجاني بأنه : توقف الشيء على ما يتوقف عليه، ويسمى: الدور المصرح، كما يتوقف "أ" على "ب"، وبالعكس، أو بمراتب، ويسمى: الدور المضمر، كما يتوقف"أ" على "ب"، و "ب" على "ج"، و "ج" على "أ"، والفرق بين الدور وبين تعريف الشيء بنفسه هو أنه في الدور يلزم تقدمه عليها بمرتبتين، إن كان صريحًا، وفي تعريف الشيء بنفسه يلزم تقدمه على نفسه بمرتبة واحدة. ،بينما عرف التسلسل بأنه التسلسل هو : ترتيب أمور غير متناهية، يراجع : التعريفات ، الجرجاني (-١٩٨٣م ، ص٥٧ ، ١٠٥ .

(٢) دراسات في فلسفة العصور الوسطى ، ماهر عبد القادر محمد ، ص٤٣٥ ، دار المعرفة الجامعية ، سنة٢٠٠٠م .

(٣) للمزيد : يراجع كتاب السماع الطبيعي ، لأرسطو ،صـ٧٨ ،ا ترجمة عبد القادر قينيني ، مكتبة الفكر الجديد ، ٢٠١٧م ، أفريقيا الشرق .

(٤) مشكلة الألوهية ، د . غلاب ، صـ٣٩ ..

(إله) أرسطو الذي يعتقد أنه (وثن)، فالفرق بينهما واضح من حيث المعتقد، ومن هنا فقد قرر(الأكويني) "بوجود متحركات ثانوية لا يمكنها الحركة إلا بفعل محرك أول، بينما هذا المحرك الأول لا يحركه شيء ... فكيف بدأت حركة العالم إذن ؟ ... وما الذي يمنع افتراض وجود محرك سابق على هذا المحرك المسمى بـ "المحرك الأول؟"[١]، وعليه فقد وقع توما الأكويني في التناقض الواضح حيث يثبت الحركة ولا يثبت محركها، "فكيف يثبت الشيء ونقيضه في وقت واحد؟ وعليه فدليل" المحرك الأول لا يستبعد إلا في مذهب ينطوي على التناقض، إذ يقول بحركة صِرفة دون شيء يحرك ولا شيء يتحرك ولا شيء إليه يتحرك"[٢] .

النقض الموجه للبرهان الثاني، ويسمى هذا الدليل (بدليل العلية أو السببية)، وقد عرض الأكويني هذا البرهان الذي مفاده "أننا إذا رأينا أثرًا دلنا هذا مباشرة على أن لهذا الأثر مؤثر أوجده، لكن يجب أن ننبه أن الأشياء تؤثر في بعضها البعض، فحرارة الشمس تؤثر في الأرض بالدفء، وتناول الثمار التي نضجت بحرارة الشمس مثلًا تؤثر في الإنسان بالنمو والقوة وهكذا، كل الموجودات يؤثر بعضها في بعض، فهل حركة المؤثر الأول من نفس حركة الأشياء في بعضها البعض ؟، وهنا يجب أن نفرق بين تأثير الأشياء في بعضها البعض وتأثير المؤثر الأول فالأشياء تؤثر وتتأثر، ولكن المؤثر الأول يؤثر ولا يتأثر"[٣]، ويبدو من هذا البرهان أنه قائم على فكرة العلة والمعلول أو المؤثر والأثر، ومن الملاحظ أن (توما) قد تأثر بالأدلة الأرسطية أكثر خاصة في هذين الدليلين السابقين، وعليه، فدليل وجود الإله باعتباره علة فاعلة.

---

(١) دراسات في فلسفة العصور الوسطى ، ماهر عبد القادر محمد ، ص٤٣٦

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ، د . يوسف كرم ،(المتوفى: ١٩٥٩ م) صـ٤٤٥ ، مكتبة الدراسات الفلسفية ،طه

(٣) فلسفة العصور الوسطى، عبد الرحمن بدوي، صـ١٥١.

المبحث الرابع
نقض الطبيعة الإلهية عند القديس توما الأكويني

مدخل

مما لا مجال فيه للشك أن القديس توما الأكويني قد طرح هذه القضية من خلال مؤلفاته العظام، ومن الجدير بالذكر أن طبيعية الإله عنده تختلف تماما عن حقيقة الإله في الفكر الإسلامي، ومن هنا فقد عرض توما الأكويني عدة طرق للطبيعية الإلهية قد ذكرها (فرديك كوبلستون) في كتابه تاريخ الفلسفة من (أوغسطين إلى دانز سكوت) ج٢ / أحدها: الطريق السلبي، وثانيها: الطريق الإيجابي، وثالثها: المماثلة، ورابعها: أنواع المماثلة ... إلخ "[١]، وهذه الطرق تحمل في طياتها الجانب السلبي لفكر هذا الفيلسوف ، ومن هنا فهناك عدة دعاوى للقديس توما الأكويني، قد ذكرها في كتابه (الخلاصة اللاهوتية) منها:

الدعوى الأولى :أن صورة الإله هل هي موجودة في كل إنسان؟

يدعي توما الأكويني أن الطبيعة الإلهية تختلف تماما عن غيرها حيث يصف الإله بأن صورته "ليست موجودة في كل إنسان، فقد قال الرسول في[١] كورا (١: ٧) إن الرجل هو صورة الله والمرأة هي صورة الرجل، والمرأة شخص من أشخاص النوع الإنساني، فإذًا ليس يصدق على كل شخص أن يكون صورة الله "[٢]، ومن هنا فقد صور توما الأكويني الإله بأنه ليس موجودًا في صورة كل إنسان، إنما تتمثل صورة الرجل في صورة الإله، والمرأة هي التي تصدق صورتها على صورة الرجل، باعتبار أنها نوع أو صنف يندرج تحت جنسه الأعلى أو الأعم ، وهذا الكلام يحمل في طياته التجسييد ، والتمثيل لصورة الإله، وهذا ما لا يقول به عاقل، وهذا القول يشبه تماما ما ذكره الشهرستاني من "أن جماعة من الشيعة الغالية، وجماعة من أصحاب الحديث الحشوية صرحوا بالتشبيه مثل: الهاشميين من الشيعة، ومثل: مضر، وكهمس، وأحمد الهجيمي

---

(١)تاريخ الفلسفة من (أوغسطين إلى دانز سكوت) (فرديك كوبلستون) ترجمة : إمام عبد الفتاح ، وإسحاق عبيد ، ج / ٢ ، ص٧٥، المركز القومي للترجمة ، ط١ ٢٠١٠م.

(٢) الخلاصة اللاهوتية ، صـ٥٠٨ ، ٥٠٩

وغيرهم من الحشوية، قالوا: معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض، إما روحانية، وإما جسمانية. ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن"[١].

الرد على هذه الدعوى

من المعلوم لدى الدراسين أن الإله سبحانه وتعالى ليس له شبيه من الكائنات، وليس في صورة البشر على الاطلاق، بل لا يمكن أن يوصف إلا بما وصف به نفسه، وهذا ما أجمع عليه العقلاء ولم يخالف في ذلك إلا شرذمة لا يعبأ بقولهم[٢]، فالإله لا يتمثل في صورة شيء من الأشياء ، فهو سبحانه وتعالى فوق كل شيء .

يقول الإمام الأشعري: "إنه تعالى ليس في خلقه، ولا خلقه فيه، وأنه مستو على عرشه سبحانه، بلا كيف ولا استقرار، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا"[٣].

الدعوى الثانية : أن صورة الله هل هي في الإنسان باعتبار ثالوث الأقانيم:

لقد ذكر توما الأكويني هذا الكلام مبينا أن صورة الله ليست في الإنسان باعتبار ثالوث الأقانيم الإلهية، "فقد قال (اوغسطينوس) في (كتاب الإيمان) إلى بطرس ب١ " أن ألوهية الثالوث المقدس وصورته التي عليها صنع الإنسان

---

(١) الملل والنحل ، (١/ ١٠٥)

(٢) لقد ذكرهم الشهرستاني في قوله "وأما مشبهة الحشوية؛ فحكى الأشعري عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر، وكهمس، وأحمد الهجيمي: أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة؛ إذا بلغوا في الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض." يراجع : الملل والنحل (١/ ١٠٥)

(٣)الإبانة عن أصول الديانة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) المحقق: د. فوقية حسين محمود ،نشر دار الأنصار – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ ، صـ١١٧

واحدة بالذات ... وقال الدمشقي في كتاب الدين المستقيم ١٢ ب ١٢ " أن قوله: إن الإنسان على صورة الله يدل على كونه عقليا ومختارا ورب فعله"(١) وبناء على ذلك فإن ما قاله الأكويني بالثالوث ـ أي ـ أن الأقانيم الثلاثة **(الآب والابن والروح القدس)** واحدة بالذات .

الرد على هذه الدعوى

من المعلوم لدى الدارسين أن الإله واحد لا تركيب فيه ولا كثرة ، وهذا ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة ، ومعهم المعتزلة، وعليه فالإله عند علماء الكلام واحد، وفي هذا السياق يقول إمام أهل السنة في كتابه مقالات الإسلاميين: "إن الله واحد ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وليس بجسم ولا شبح ولا جثة ولا صورة ولا لحم ولا دم ولا شخص ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا رائحة ولا مجسة ولا بذي حرارة ولا برودة ،ولا رطوبة ولا يبوسة ولا طول ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق ولا يتحرك ولا يسكن ولا يتبعض، وليس بذي أبعاض وأجزاء، وجوارح وأعضاء، وليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وأمام وخلف وفوق وتحت، ولا يحيط به مكان، ولا يجري عليه زمان، ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الأماكن ولا يوصف بشيء من صفات الخلق الدالة على حدثهم"(٢) .

ومن خلال هذا النص يظهر الرد على دعوى الأكويني من وصفه للإله بالثالوث، وقد بين الإمام محمد عبده أن "الفكر في ذات الخالق فهو طلب للأكتناه من جهة وهو ممتنع على العقل البشرى لما علمت من انقطاع النسبة بين الوجودين ولاستحالة التركب فى ذاته وتطاول إلى مالا تبلغه القوة البشرية من جهة أخرى فهو عبث ومهلكه عبث؛ لأنه سعى إلى مالا يدرك، ومهلكة؛ لأنه يؤدى إلى الخبط فى الاعتقاد؛ لأنه تحديد لما لا يجوز تحديده وحصر لما لا

---

(١) الخلاصة اللاهوتية ، صـ٥١٠ .

(٢)مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) عنى بتصحيحه: هلموت ريتر ،نشر دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا) الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، صـ١٥٥

يصح حصره"[1].

✍ ومن هنا يتضح لنا أن التوحيد هو ما جاء به الأنبياء عليهم السلام ودعوا إليه من لدن آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد أجمع علماء الإسلام إلى التوحيد المطلق فهو سبحانه وتعالى واحد أحد لا ند له ، ولا شريك وبهذا نبطل "مذهب من أثبت خالقا سوى الله؛ لأنه لو وجد خالق آخر لما كان الحق مصمودا إليه في طلب جميع الحاجات"[2].

الدعوى الثالثة وهي: هل الإله موجود ؟

✍ يدعى توما الأكويني أن الإله هو الخير اللامتناهي حيث يقول: "لو كان موجودًا لما كان ثمة أي شر ولكن في العالم شر، إذن الإله غير موجود "[3]، وهذه الدعوى في حقيقتها موافقة تماما لما قاله ديكارت من "أن هذه الفكرة بسيطة لا مجال فيها لتأليف وتركيب، من حيث إنها تمثل موجودًا واحدًا حاصلًا على جميع الكمالات، وإني لا أستطيع أن أنقص منها أو أزيد فيها شيئًا، ولا يمكن أن يقال: إني لا أتصور الكامل اللامتناهي بفكرة محصلة، بل بإدخال السلب على فكرة النقص والتناهي التي أجدها في نفسي، إذ ليست فكرة الكامل اللامتناهي معدولة تمثل عدمًا وسلبًا، ولكنها محصلة تمثل موجودًا هو أكمل موجود، بل الواجب أن يقال على العكس: إني إنما أتصور النقص والتناهي بالحد من الكمال واللاتناهي، ولو لم تسبق لي فكرة موجود كامل لا نقص فيه، لما استطعت أن أعتبر نفسي ناقصًا، وإذن فليست هذه الفكرة حادثة ولا

---

(١)رسالة التوحيد، محمد عبده بن حسن خير الله (المتوفى: ١٣٢٣هـ) نشر دار الكتاب العربي، ص٢٧

(٢) مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ (٣٣/ ٣٦٥)

(٣) دراسات في فلسفة العصور الوسطى ، ماهر عبد القادر محمد ، ص٤٧٢، بتصرف يسير .

مصطنعة، ولا يبقى إلا أنها فطرية بسيطة **أولية** "[١].

كما أن هذا الوصف قال به أيضا (توماس هوبز) حيث قال: "إن الألفاظ المعدولة وأسماء التفضيل مقبولة وحدها في حق الله؛ لأنها تدل على إعجابنا وخضوعنا لا على ماهية الله؛ بل إن لفظ اللاجسمي إذ نطلقه على الله ما هو إلا صفة تشريفية ليس غير؛ لأن كل موجود فهو جسمي."[٢].

الجواب عن هذا الاعتراض

مما لا مجال فيه للشك أن " واحد لا من طريق العدد ولكن من طريق أنه لا شريك له ... لا يشبه شيئًا من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية"[٣].

وبناء على ذلك، فهو موجود بآثاره الواضحة وضوح الشمس في وسط النهار ، بل هو المحرك الذى يحرك، ولا يتحرك، فهو العلة الفاعلة لكل الكائنات"، وهو ثابت بالحس أن في العالم أشياء تتحرك، ولكن كل ما يتحرك بغيره يتحرك؛ لأنه ما من شيء يتحرك إلا بما هو بالقوة بالنسبة إلى ما يتحرك إليه، وما من شيء يحرك إلا بما هو بالفعل كالنار يحمل الخشب، الحار بالقوة حارا بالفعل، وبذلك يحركه ويغيره وليس من الممكن أن يكون الشيء عينه بالقوة وبالفعل معا من الوجه عينه بل من وجوه مختلفة."[٤] وإذا كان الأمر كذلك فإنه سبحانه وتعالى "واحد في الألوهية، متصف بالحياة، واجب الوجود

---

(١) الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ، صـ٧٣ .

(٢) ن : م ،صـ٥٥ .

(٣) الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، المؤلف: ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ) نشر مكتبة الفرقان – الإمارات العربية ،الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، صـ١٤

(٤) دراسات في فلسفة العصور الوسطى ، ماهر عبد القادر محمد ، ص٤٧٢

لذاته موجد لغيره، إذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره، منزه عن التحيز والحلول، مبرأ عن التغير والفتور، لا يناسب الأشباح ولا يعتريه ما يعتري الأرواح، مالك الملك والملكوت، ومبدع الأصول والفروع". [١]

ومن هنا فإن ما ذهب إليه القديس توما الأكويني من دعوى أن الله هو الخير اللامتناهي دعوى باطلة؛ وذلك لأنها مبنية على كون الشر موجودا في العالم، فالله غير موجود، وهذا الكلام لا يصدقه العقل فضلا عن النقل؛ لأن وجود الباريء لا ينكره إلا ملحد أو مكابر أو معاند، فقد قامت الأدلة العقلية والنقلية التي تثبت أن وجوده تعالى واضح كوضوح الشمس وسط النهار.

✍ وليس من المعقول أن يكون الله هو الخير اللامتناهي ؛ ذلك أن هذه الفكرة تعني الكلمة كما يدعي اسبينوزا حيث أشار إلى أن "المعنى المحصل بمعنى الكلمة هو معنى اللامتناهي أو الجوهر المطلق أو الله، وبه يجب الابتداء."[٢]، وبالتالي فإن مسألة إطلاق الجوهر من المسائل التي تعرض لها علماء الكلام ردًّا على الفلاسفة الذين أجازوا إطلاق الجوهر على الله تعالى وذلك؛ لأنه "لا يخلو من أنْ يكونَ جوهراً فردًا، وهو الجزء الذي لا يتجزأ، وهذا أحقر الأشياء وذلك على الله محال.[٣]

✍ والجوهر هو الجسم القائم بنفسه أو المتحيز، وعلى أية حال، فإن القديس توما الأكويني أراد أن يصف البارئ تعالى باللامتناهي، الذي هو الخير فليس موجودا في العالم المليء بالشرور كما يدعي، ومن هنا فإننا لا نسلم بكون الباريء لا متناهيا، ووجود الشرور ليس دليلا على كون الباريء غير موجودٍ، والعالم وما فيه من حوادث ما هو إلا دليلا على كون الباريء موجودًا

✍ وبناء على ما سبق ذكره، فإن القديسين (بونا فنتورا،وتوما الأكويني)

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ،نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ(١/ ١٥٤)

(٢) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ، صـ١١١ .

(٣)"محاضرات حول الموقف الخامس، في الإلهيات، من كتاب شرح المواقف، صـ ٥٩، الدكتور/حسن محرم الحويني، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م..

قد عرضا قضية الألوهية عرضا مبسطا لا غموض فيه ولا إبهام، ولكن مسلكي الرجلين وعقيدتهما مختلفة تمامًا عما ذهبا إليه علماء الكلام الإسلامي وبعض الفلاسفة.

أوجه الاتفاق والاختلاف بين القديسين

من المعروف أن الاستدلال على وجود الإله عند القديسين (بونا فنتورا، وتوما الأكويني) يختلف تماما عن غيرهم من الفلاسفة، ومن يدقق النظر يجد أن الفيلسوف (بونا فنتورا) في استدلاله يختلف تماما عن الأكويني من حيث المنهج والطريقة.

أولا : أوجه الاتفاق بينهما

نجد أوجه الاتفاق بينهما بارزة في أن كلا منهما (لاهوتي إيطالي ناطق باللاتينية)، وأنهما ينتميان إلى المدرسة الأوربية في العصور الوسطى، وقد أقام كل منهما أدلة على وجود الإله، ونلحظ أنهما قد اتفقا على اتصاف (الإله بالثالوث)، كما نلحظ أيضا على حصولهما على مناصب في الدولة من بعض الكنائيس، ومن الجدير بالذكر أن كلا الفيلسوفين قد حصلا على درجة العالمية (الدكتوراة) في اللاهوت المسيحي.

ثانيا : أوجه الاختلاف بينهما:

يظهر الاختلاف بين القديسين في عدة أمور

الأمر الأول: في منهج كل منهما: حيث استدل (بونا فنتورا) على وجود الإله عنده مبينا أنه واضح بنفسه فلا يحتاج إلى دليل، بينما أقام القديس توما الأكويني على وجود الإله عدة أدلة مؤكدا أنه يحتاج في وجوده إلى دليل .

الأمر الثاني: وهو أن منهج بونا فنتورا يميل كل الميل إلى النزعة الصوفية التي تمزج الفلسفة بالدين.

الأمر الثالث: أن منهج بونا فنتورا يمتاز بنزعته التوفيقية بين الآراء الفلسفية المختلفة "[1].

الأمر الرابع :أن توما الأكويني قد أدرك أن العلم يقتضي أن نبتديء من المحسوس والمنظور؛ لنرتقي منه إلى غير المنظور، فالمحسوس هو نقطة البداية في كل معرفة.

الأمر الخامس أن أدلة الأكويني تتميز بأنها متمثلة في كونها تفترض جميعها العلية، فإذا سقطت مصادرة العلية سقطت الأدلة كلها.

---

(١) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، صـ ١٨، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

الأمر السادس: أن الأدلة عند الأكويني جميعها ولا سيما الدليلين، (الأول ،والثاني) تفترض أن الأشياء مرتبة ترتيبًا تصاعديًا ومتوقفة بعضها على بعض، بحيث إن الابتداء من أدناها لا بد من أن يؤدي بنا في نهاية المطاف إلى مبدأ أول هو (الله.)

الأمر السابع: وتتمثل في أن اجتماع هذه الأدلة معًا يعطينا فكرة شاملة عن الله من حيث هو المحرك الأول الذي لا يتحرك، وهو العلة الفاعلة الأولى، والموجود الواجب لذاته والكامل مصدر كل كمال، ومنظم لهذا العالم.

تعقيب

مما لا مجال فيه للشك أن فكرة الألوهية من القضايا التي شغلت عقول المفكرين قديمًا وحديثًا، الأمر الذي ترتب عليه أن هذه الفكرة قد بدلت التوحيد في ديانات الشرق القديم، فتعددت الآلهة، وتنوعت مشارب القوم، ما بين مغال، وما بين محب لهذه الفكرة.

دعوة الخلق إلى التوحيد:

مما لا مجال فيه للشك أن فكرة الألوهية لها دور بارز منذ أن جاء الإسلام الحنيف، حيث دعا إلى التوحيد، ونفي الند والشريك عن الإله الواحد، ففي العهد المكي كان أهل مكة ينكرون فكرة التوحيد، ويؤمنون بالآلهة التي لا تنفع ولا تضر، وجعلوها واسطة تقربهم من الله –تعالى-، وهذا يدل على شطط عقولهم وسفاهة فكرهم(١)، ولأهمية الفطرة فإن الله تعالى قد أخذ العهد والميثاق من جميع البشر على التزام أحكامه، وذلك قبل أن يخلقهم.

يقول الإمام الغزالي: ولهذا بعث الأنبياء -صلوات الله عليهم- لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا (لا إله إلا الله) ، وما أُمروا أن يقولوا: (لنا إله وللعالم إله)، فإنّ ذلك كان مجبولًا في فطرة عقولهم من مبدأ نشوءهم، وفي عنفوان

---

(١) يقول الشهرستاني: " أهل الأهواء والنحل من الصابئة، والفلاسفة، وآراء العرب في الجاهلية، وآراء الهند، وهؤلاء يقابلون أرباب الديانات تقابل التضاد، كما ذكرنا.، واعتمادهم على الفطرة السليمة، والعقل الكامل، والذهن الصافي فمن معطل بطل، لا يرد عليه فكره براد، ولا يهديه عقله ونظره إلى اعتقاد، ولا يرشده فكره وذهنه إلى معاد، قد ألف المحسوس وركن إليه، وظن أنه لا عالم سوى ما هو فيه من مطعم شهي، ومنظر بهي، ولا عالم وراء هذا المحسوس. وهؤلاء هم الطبيعيون الدهريون، لا يثبتون معقولا " يراجع: الملل والنحل، الشهرستاني (٢/٦١)

شبابهم، فإذا كان في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظَّار"[١].

الألوهية من الناحية العقلية:

معرفة الله تعالى من الأمور الممكنة التي هي في حيز الإمكان؛ وذلك لأن معرفته ليست في حاجة إلى أدلة تثبت وجوده تعالى، فوجوده تعالى أوضح من الحقيقة ذاتها، ومن ثم فهي "فكرة سامية بسمو موضوعاتها، وتعد قطعًا من أسمى الأفكار التي وصل إليها الإنسان. وقد هداه إليها مجتمعه وبيئته، أو نظره وتأمله، أو ما أنزل عليه من وحي وإلهام"[٢].

وعليه فمعرفة الله تعالى من أسمى الأمور التي يسعى إليها الإنسان، فليس هناك مشكلة في معرفته تعالى."إنما المشكلة في إقامة الدليل عليها، وفي وقوعها من العقل موقع المسلمات، على نحو ما في الحقائق العلمية التي يؤمن بها، ويطمئن إليها، وفي هذه السبيل حشدت الإنسانية كل ما تملك من قوى الإدراك؛ لتكشف الطريق إلى تلك الحقيقة، وتقف منها على مسمع ومرأى، وكان من هذا كل ذلك المحصول الوفير الذي خلفه العلماء، والفلاسفة في مختلف الأمم، وفي جميع الأجيال ... من المذاهب والآراء التي تدور حول الإلهيات وما يتصل بها"[٣].

تصور الفكرة من الناحية الفلسفية:

أما من الناحية الفلسفية، فإن الفلاسفة القدماء قد قسموا كتبهم، كما ذكر الدكتور/ **محمد غلاب** في كتابه (مشكلة الألوهية)، إلى ثلاثة أقسام: أولها القسم الأدنى أو الطبيعي، وهو ما يحتاج في وجوده وحدوده إلى المادة، وثانيها: القسم الأوسط، وهو ما يحتاج في وجوده دون حدوده إلى المادة، وثالثها: القسم الأعلى، أو الإلهي وهو ما لا يحتاج إلى المادة في وجوده وحدوده"[٤].

---

(١) قواعد العقائد، الغزالي ص٢٩

(٢) في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، د / إبراهيم مدكور، (٢١/٢)، سميركو للطباعة والنشر.

(٣) قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، عبد الكريم الخطيب صـ٢٨٢، الطبعة الثالثة، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

(٤) قضية الألوهية، د/ محمد غلاب، صـ١٨، نشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م.

ومن خلال التقسيم السابق لفلاسفة اليونان لفكرة الألوهية نجد أن هذه الفكرة واضحة وضوح الشمس في وسط النهار، لا كما يدعي بعض علماء الاجتماع الذي يصفون تلك الفكرة بأنها ساذجة، ولا مناص لقولهم هذا؛ وذلك لأنها " تبدو في أسمى قمم ما بعد الطبيعة، وبالتالي تبدو في أعلى آواج ما وصل إليه الفكر البشري، وليست ـ كما يزعم بعض علماء الاجتماع بأنها فكرة ساذجة خفيفة الوزن نشأت لدى الفلاسفة النظارين من انعكاس عقائد البيئات التي يحيا فيها أولئك المفكرون"(١). ومن هنا فقد شغلت هذه المسألة فكر هؤلاء الفلاسفة ـ أعني ـ فلاسفة العصور القديمة، وإذا كان فلاسفة اليونان أدلوا بدلوهم في هذه الفكرة، فإن فلاسفة الإسلام (الكندي، والفارابي، وابن سينا) قد تناولوها بالإثبات، ونفي ما عداها من الضد، والند، والشريك، وغير ذلك، ومن يقرأ كتب فلاسفة الإسلام يجد أنهم قد أطلقوا على هذه الفكرة (واجب الوجود) أو وجود الواجب.

فكرة الواجب عند فلاسفة الإسلام:

تقوم هذه الفكرة على التنزيه المطلق، فقد بدأ (الكندي) هذا التصوير واصفًا الإله بقوله إنه: "واحد غير متكثر، سبحانه وتعالى عن صفات الملحدين علوًّا كبيرًا، لا يشبه خلقه؛ لأن الكثرة في كل الخلق موجودة، وليست فيه بتة؛ ولأنه مبدِع وهم مبدَعون؛ ولأنه دائمٌ، وهم غير دائمين؛ لأن ما يتبدل تبدلت أحواله، وما تبدل فهو غير دائم"(٢). ومن هنا فقد نفى فيلسوف الإسلام ـ الكندي ـ عن الذات الإلهية كل صفات الحوادث التي تتضمن التبديل والتغيير وعدم الدوام، وغير ذلك من صفات الخلق، وجاء المعلم الثاني (الفارابي) وتحدث عن هذه الفكرة في جل مؤلفاته التي لها الأثر البالغ في الفكر الإنساني، والفكر الفلسفي على وجه العموم؛ وبناء عليه فإن الفارابي يؤكد "أن العالم مخلوق، وبما أن هذا العالم مخلوق، فينبغي أن يكون خالقه وهو الحق، كما يؤكد معظم اللاهوتين، فالله ((كعلة فاعلة)) هو الخالق لكل الموجودات، فهو الواحد "(٣).

ومن هنا فالفارابي قد أثبت أن للعالم علة فاعلة، وهي الخالقة لكل موجود،

---

(١) م ـ ن ، ص١٨.

(٢) رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق د: محمد عبد الهادي أبو ريدة، صـ٢٠٧، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، بمصر ـ ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م.

(٣) الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، للفارابي، صـ ٥٩، حققه/ د عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت ـ لبنان، الطبعة: الثانية، ٢٠١٢م.

وبالتالي فهي واحدة غير متكثرة، أما الشيخ الريس (ابن سينا)، فقد أثبت تلك العلة الفاعلة بانفرادها وحدها في الوجود، فلا يشاركه شيء في الماهية؛ وذلك لأن كل ماهية مقتضية للوجود، فالوجود خارج عنه، ومن ثم " فواجب الوجود لا يشارك شيئًا من الأشياء في ماهية ذلك الشيء؛ لأن كل ماهية لما سواه مقتضية لإمكان الوجود، وأما الوجود فليس بماهية لشيء، ولا جزء من ماهية شيء - أعني - الأشياء التي لها ماهية لا يدخل الوجود في مفهومها بل هو طارئ عليها"(١).

وخلاصة القول: إن فكرة الألوهية قد قال بها فلاسفة الإسلام، باعتبار أن الغاية من دراسة الفلسفة هو: معرفة الوجود، وبناء على ذلك فقد قسموا مباحث الفلسفة إلى ثلاثة مباحث (مبحث الوجود، ومبحث المعرفة، ومبحث القيم)، فجعلوا الوجود مبحثًا من ضمن مباحث الفلسفة على أن يثبتوا من خلاله معرفة الواجب لذاته.

(١)الإشارات والتنبيهات، لأبي على ابن سينا، مع شرح لنصر الدين الطوسي، صـ ٤٩، تحقيق، د/ سليمان دنيا، الطبعة: الثالثة، نشر: دار المعارف.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، فقد يسر لي وأعانني على إتمام هذا البحث وإكماله، وقد بذلت فيه جهدي وطاقتي وأوجز في هذه الخاتمة أهم النتائج التي توصلت إليها، وتتمثل هذه النتائج فيما يلي:

١- **اتضح من خلال الدراسة أن** معرفة الله تعالى من أسمى الأمور التي يسعى إليها الإنسان، فليس هناك مشكلة في معرفته تعالى. **ولكن المشكلة تكمن في إقامة الحجج والبراهين العقلية على تلك الفكرة ومن ثم فقد أقام المفكرون والمتكلمون عدة أدلة عقلية تتمحور جميعها في إثبات الذات الإلهية ووضوحها من خلال آثارها التي لا ينكرها إلا جاحد أو مكابر.**

٢- برز من خلال البحث أن فكرة الألوهية قد لعبت دورًا عظيما في فلسفة كل من (القديسين بونا فنتورا، وتوما الأكويني) اللذين هما من رواد الفكر الغربي. حيث كان معتقد كل منهما أن اعتناقا. مذهب . المسيحية الخالصة التي مفادها الإيمان بالأقانيم الثلاثة: (الله الآب . الله الإبن . الله الروح القدس)، ومن ثَمّ فإن مفهوم الذات عندهما يختلف تماما عن بقية فلاسفة الغرب.

٣- تبين من خلال البحث أن **القديسين** بونا فنتورا وتوما الأكويني قد استدل كل منهما على وجود الإله بعدة أدلة ، فما كان فيها موافقًا للصواب قبلناه بغض النظر عن المعتقد ، وما كان فيها مخالفًا فنداه ودحضناه ، احقاقًا للحق والوقوف بجانبه .

٤. ظهر من خلال الدراسة بيان النقد الموجه لكل من القديس بونا فنتورا، وتوما الأكويني من وصفهما الإله بالتشبيه ، والتجسيم المحالين على الله تعالى ، وليس هذا ببعيد عما يعتقده النصارى من وصفهم الإله بالتجسيد.والتشبيه وغيرهما ،وهذا إن دل فإنما يدل على **منهجهما العقدي والفكري** ، ومن ثم

فالله منزه تمامًا عن التشبيه والتجسيد وغيرهما من صفات البشر .

٥. برز من خلال هذا البحث: أن الإله واحد أحد لاند له ،لا يشبه الخلق من جميع الوجوه ، ولا من بعضها ، فهو منزه عن التحيز والحلول وغيرهما، وهو العلة الفاعلة المنفرده وحدها في الوجود لا يشارك شيئا في ماهيته ، بل هو العلة الفاعلة ، ومن ثم فهو الخالق لجميع الكائنات لا يخفى عليه شيء منها ، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على أفضل أنبيائك ورسلك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المراجع

١- الإبانة عن أصول الديانة، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ) المحقق: د. فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٢- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، للإمام القرافي المتوفى سنة ٦٨٤هـ، ، تحقيق، د/ بكر زكي عوض، ط٢، ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م.

٣- أسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٤- الإشارات والتنبيهات، لأبي على ابن سينا، مع شرح لنصر الدين الطوسي، تحقيق، د/ سليمان دنيا. نشر: دار المعارف. الطبعة: الثالثة.

٥- إظهار الحق، محمد رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني الهندي الحنفي، (ت/ ١٣٠٨هـ) (٧٢٥/٣) دراسة وتحقيق وتعليق: الدكتور محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الأستاذ المساعد بكلية التربية جامعة الملك سعود – الرياض، نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٦- إيماني قضايا المسيحية الكبرى، إلياس مقار ، دار الثقافة ـ القاهرة، ط١.

٧- تاريخ الفلسفة الأوربية في العصور الوسطى، د / يوسف كرم، مؤسسة هنداوي، سنة النشر ٢٠١٤م.

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ،نشر دار إحياء التراث العربي – بيروت ،الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.

٩- تاريخ الفلسفة الحديثة، د. يوسف كرم، (المتوفى: ١٩٥٩ م)، مكتبة الدراسات الفلسفية، ط٥.

١٠- تاريخ الفلسفة من (أوغسطين إلى دانز سكوت) (فرديك كوبلستون) ترجمة : إمام عبد الفتاح ، وإسحاق عبيد ، ج / ٢ ، المركز القومي للترجمة ، ط١ .٢٠١٠م.

١١- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت/ ٤٠٣هـ)، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، نشر: مؤسسة الكتب الثقافية– لبنان، الطبعة: الأولى،

١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
١٢- التوحيد، للإمام محمد عبده بن حسن خير الله، (ت/ ١٣٢٣هـ) ، نشر دار الكتاب العربي.
١٣- الثمرة المرضية في بعض الرسالات الفارابية، للفارابي، حققه/ د عماد نبيل، دار الفارابي، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ٢٠١٢م.
١٤- حقيقة لاهوت يسوع المسيح، جوش ماكدويل، وبارت لارسون، ط: ٢، نشر هيئة الخدمة الروحية وتدريب القادة، الإسكندرية.
١٥- خلاصة الفكر الأوربي، أرسطو، د / عبد الرحمن بدوي، نشر مكتبة النهضة المصرية - مصر،١٩٤٣م.
١٦- . رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق د: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، بمصر - ١٣٦٩هـ، ١٩٥٠م.
١٧- عقيدة التثليث عند النصارى عرض ونقد، د / نظير محمد عياد، مكتبة المهتدين الإسلامية لمقارنة الأديان.
١٨- غاية المرام في علم الكلام، أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (ت / ٦٣١هـ) ، المحقق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.
١٩- الغفران بين الإسلام والمسيحيين، إبراهيم خليل أحمد، دار المنارة - القاهرة، في رد رسالة شرح التعليم المسيحي لقواعد الإيمان الكاثوليكي.
٢٠- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: ٤٢٩هـ) الناشر: دار الآفاق الجديدة–بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م .
٢١- الفقه الأكبر (مطبوع مع الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر المنسوبين لأبي حنيفة تأليف محمد بن عبد الرحمن الخميس)، المؤلف: ينسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه (المتوفى: ١٥٠هـ) الناشر: مكتبة.
٢٢- فلسفة العصور الوسطى، دكتور: عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٦م.
٢٣- في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، د / إبراهيم مدكور، سميركو للطباعة والنشر.
٢٤- القديس بونا فنتورا، بين الفلسفة وعلم اللاهوت، صـ٧٣، كامل محمد محمد عويضة، نشر دار الكتب العلمية.
٢٥- قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، عبد الكريم الخطيب، الطبعة الثالثة، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م.

٢٦- قضية الألوهية، د/ محمد غلاب، نشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ١٣٦٦هـ، ١٩٤٧م.
٢٧- قواعد العقائد، أبو حامد محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: موسى محمد علي ـ نشر: عالم الكتب-لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
٢٨- كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ).
٢٩- كتاب الخلاصة اللاهوتية، القديس توما الأكويني، مجلد ٢، ترجمه من اللاتينية إلى العربية، الخوري بولس عواد، حقوق الطبع عائدة إلى المترجم ـ سورية.
٣٠- كتاب السماع الطبيعي، لأرسطو، ترجمة عبد القادر قينيني، مكتبة الفكر الجديد، ٢٠١٧م، أفريقيا الشرق.
٣١- اللاهوت النظري (الله والوجود والكون وطبيعة الملائكة)، الأنبا غريغوريوس، نشر جمعية الأنبا غريغوريوس أسقف البحث العلمي، شركة الطباعة المصرية، ٢٠٠٧م.
٣٢- الله في المسيحية، عوض سمعان، شركة الطباعة المصرية ـ العبور ـ نشر: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة جاردن سيتي.
٣٣- الله في فلسفة القديس توما الأكويني، د / ميلاد زكي غالي، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية.
٣٤- الله واحد أم ثالوث، دكتور/ محمد مجدي مرجان ، ط١، ١٩٧٢م، نشر مكتبة النافذة.
٣٥- محاضرات حول الموقف الخامس، في الإلهيات، من كتاب شرح المواقف، الاستاذ الدكتور/حسن محرم الحويني، مكتبة الإيمان، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م.
٣٦- محاضرات في النصرانية) محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت/ ١٣٩٤هـ) صـ ١٠٠، نشر دار الفكر العربي – القاهرة. المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، نشر دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٣٧- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) (١ / ٨٣) المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ -١٩٩٦م .
٣٨- المعجم الشامل للمصطلحات الفلسفية، د/ عبد المنعم الحفني، نشر مكتبة مدبولي، ط: ٣، ٢٠٠٠م.

٣٩- معجم الفلاسفة، إعداد / جورج طرابيشي، دار الطباعة - بيروت - الطبعة الثالثة ٢٠٠٦م.
٤٠- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٤١- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة-١٤٢٠هـ.
٤٢- مفيد العلوم ومبيد الهموم، المؤلف: ينسب لأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس (المتوفى: ٣٨٣هـ) نشر المكتبة العنصرية، بيروت، عام النشر: ١٤١٨ هـ.
٤٣- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت/ ٣٢٤هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، نشر دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
٤٤- الملل والنحل، أبو الفتح محمد ابن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني ت: ٥٤٨هـ ،مؤسسة الحلبي.
٤٥- . المواقف، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، نشر دار الجيل، بيروت، ط: ١، ١٩٩٧م.
٤٦- موسوعة الأنبا غريغوريوس، اللاهوت العقيدي، لاهوت السيد المسيح، شركة الطباعة المصرية، نشر: مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس.
٤٧- موسوعة الفلسفة، د / عبد الرحمن بدوي، نشر الموسوعة العربية للدراسات والنشر، ط: ١، ١٩٨٤م.
٤٨- الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، و.ح أو أمون، ترجمة فؤاد كامل - جلال العشري، مراجعة: زكي نجيب، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٣م، نشر: المركز القومي للترجمة.
٤٩- الموسوعة الفلسفية، د / عبد المنعم الحفني، دار ابن زيدون، مكتبة مدبولي - القاهرة.
٥٠- النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، للشيخ الرئيس أبي على الحسين بن سينا،ط: ٢، ١٣٥٧هـ، ١٩٣٨م.

فهرس الموضوعات

المحتويات .

المـقــدمـــة .

التمهيد ويشمل التعريف بالقديسين (بونا فنتورا، وتوما الأكويني) بإيجاز.

المبحث الأول: فكرة الألوهية لدى القديس بونا فنتورا.

المبحث الثاني: نقد فكرة الألوهية عند القديس بونا فنتورا.

المبحث الثالث: الألوهية في فلسفة القديس توما الأكويني .

المبحث الرابع: نقض الطبيعة الإلهية عند القديس توما الأكويني